مركز النشر العلمي والترجمة
جامعة القصيم
Center of Scientific Publishing and Translation
Qassim Uinversity

مجلة العلوم العربية والإنسانية
Journal of Arabic Sciences & Humanities
مجلة دورية علمية محكمة ربع سنوية

E-ISSN: 1658-9602
www.jahs.qu.edu.sa

17، (3)، رجب، 1445
January, 2024

المقامية ومبادئ التواصل في أدب الرسائل النسائية: دراسة تداولية لبعض النماذج السعودية الحديثة والمعاصرة

فهد إبراهيم البكر

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، مدينة حائل، المملكة العربية السعودية

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوعاً مهماً في الأدب السعودي، وهو أدب الرسائل الذي لم ينل حظه الوافر من الاهتمام، ولا نبالغ إذا قلنا: إن الدراسات النقدية في هذا الميدان شحيحة أيضاً، بل لا تكاد تذكر، كما أن الرصد النقدي لأدب الرسائل النسائية يكاد أن يكون منعدماً هو الآخر، على الرغم من توافر المدونة الأدبية، وتنوع الإبداع الرسائلي النسائي في الوطن العربي عموماً، والمملكة العربية السعودية تحديداً. وفي ضوء تلك الندرة وقع اختيارنا على هذا العنوان؛ لاستكشاف بعض الجماليات التداولية التي ينطق بها الإبداع الرسائلي النسائي في المملكة العربية السعودية. وسنحاول مقاربة هذا الموضوع من الوجهة التداولية التي تهتم بمقامات التخاطب، ومبادئ التواصل، وقد اخترنا مقاربة هذا الموضوع من الباب التداولي؛ لأنه المنهج الأنسب لطبيعة أدب الرسائل القائمة على التواصل، والتبادل.

الكلمات المفتاحية: الرسائل، النسائية، التداولية، لمقامية، التواصلية.

Abstract

This study entitled " Principles of communication in the literature of women letters" includes an important topic in Saudi literature, which is the literature of letters, which has not received much attention. The critical studies in this field are barely mentioned. Critical monitoring of women's epistolary literature is also almost non-existent, despite the availability of the literary blog and the diversity of women's epistolary creativity in the Arab world in general, and the Kingdom of Saudi Arabia in particular. In light of this scarcity, we chose this title. To explore some of the deliberative aesthetics expressed by women's epistolary creativity in the Kingdom of Saudi Arabia, we will try to approach this topic from the deliberative point of view, which is concerned with the positions of communication and the principles of communication. We have chosen to approach this topic from the deliberative aspect; Because it is the most appropriate approach to the nature of epistolary literature based on communication and exchange.

Keywords: Messages, feminine, pragmatics, situationality, communication.

الإحالة APA Citation:

البكر، فهد. (2024). المقامية ومبادئ التواصل في أدب الرسائل النسائية: دراسة تداولية لبعض النماذج السعودية الحديثة والمعاصرة. *مجلة العلوم العربية والإنسانية*، *17*، (3)، 08-41.

استلم في: 19-02-1445/ قُبل في 04-03-1445/نُشر في 19-07-1445

Received on: 04-09-2023/**Accepted on:** 19-09-2023/**Published on:** 31-01-2024

CC BY NC

1. المقدمة

يكتسبُ هذا الموضوع قيمته في الولوج إلى إبداع المرأة، وتحديدًا في تلّمس الأدب الذاتي الذي تميزت به، وبشكل أكثر دقة في أدب الرسائل المتسم بالخصوصية، والجمالية في آن، ومعلوم أن إبداع المرأة العربية ظلَّ في أكثر نماذجه متوارياً عن الأنظار فترة من الزمن، حتى جاء العصر الحديث فأصبح للمرأة العربية صولة وجولة، وأخذت تبدع في مجالات علمية ومعرفية شتى.

وكان للمرأة السعودية حضورها البارز في حقول إبداعية متنوعة، ومن بينها الأدب بجنسيه: الشعر، والنثر، غير أن أدب الرسائل – على الرغم من وفرة نماذجه وجودة أكثرها — بات قليل التناول، وقد تفاوتت درجات هذه القلة بين دارسي الأدب الرسائلي قديماً، وحديثاً، وكادت أن تغيب – أو لا تكاد تذكر — عند دارسي أدب الرسائل النسائية في الوطن العربي، وبشكل يكاد أن يكون منعدماً في دراسة أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية، فمن ها هنا تأتي قيمة الموضوع، وتتجلى أهميته، وأسباب اختياره.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جمالية أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية، وذلك من زاويتها التداولية، ويمكن إجمال أهم الأهداف التي ترومها هذه الدراسة على النحو الآتي:

أ. بعث الاهتمام بقيمة أدب الرسائل في العصر الحديث، وبيان حضوره في الأدب النسائي تحديدًا.

ب. رصد أهم النماذج الرائدة والمعاصرة في أدب الرسائل السعودية، وبخاصة في أدب الرسائل النسائية.

ج. الكشف عن الوجوه المقامية التي تنبع من المبادئ التداولية في أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية، كالمقام الأعلى، والمقام الموازي، والمقام الأدنى.

د. تلمّس الملامح التداولية التي تنضح بها مقامات التخاطب في الرسائل النسائية السعودية في تفاعلها ضمن إطار واحد.

وعند تأمل عنوان الدراسة (المقامية ومبادئ التواصل في أدب الرسائل النسائية: دراسة تداولية لبعض النماذج السعودية الحديثة والمعاصرة) لم أجد — فيما أعلم – من تعرّض لمثل هذا العنوان دراسة، أو نقدًا، أو حتى إشارة عابرة، وكل ما رأيناه إنما هو من قبيل العرض، والمرور السريع، الذي يشير عادة إلى أدب الرسائل في المملكة العربية السعودية بعامة، دون توقف عند نماذجه النسائية، ومقاربتها مقاربة تداولية، وعند التأكد من محركات البحث في المكتبات الوطنية، والعامة، لم أجد — حسب علمي – ما هو قريب من هذا الموضوع، أو ما يمت له بصلة. أما الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية، فإنه لا توجد دراسات كثيرة حولها – فيما يغلب على ظن الباحث – إلا ما كان من بعض الدراسات، كدراسة الباحث (الصقري، 2022) في رسالته للماجستير التي

بعنوان (سيميائية الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية)، وهي رسالة ذات أهمية في وقوفها عند أدب المرأة السعودية، غير أن الباحث ركّز اهتمامه فيها على جانب نقدي واحد، وهو السيميائية، ثم إنه استعرض بعض الأسماء المحدودة في العصر الحديث، ولم يغص في دراسة بعض الأعلام النسائية القديمة المؤسسة، ولا النماذج النسائية الحديثة المعاصرة، على نحو ما سنستقصيه إن شاء الله في هذه الدراسة.

ولا بد أن نشير إلى بعض من توقفوا عند أدب الرسائل السعودية على نحو عام، وهم قلة، يمكن النظر إلى أبرزهم في العنوانين الآتيين:

أ. كتاب بعنوان (فن الرسائل في الأدب السعودي، قراءة إنشائية تداولية)، للحارثي (2020)، وقد ذكر المؤلف بعض الأسماء النسائية على نحو محدود، كهند باغفار، وأميمة الخميس، وامتلأ الكتاب بجملة من رسائل الأدباء السعوديين دون أن يناقش أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية بشكل أوسع، سواء من الناحية النقدية العامة، أم من الناحية النقدية الخاصة (المقامية) مثلاً.

ب. كتاب بعنوان (السردية في الخطاب الترسلي العربي الحديث، مقاربة سردية تداولية) للعتيبي (2019)، والكتاب يعالج بعض النماذج الرسائلية العربية من منظورين: سردي وتداولي، وبعد الاطلاع عليه لم يرد فيه إشارة إلى أي كاتبة سعودية.

فيما عدا ذلك لم نجد دراسات أخرى توقفت عند أدب الرسائل في المملكة العربية السعودية من الناحية التداولية، فضلاً عن أدب الرسائل النسائية السعودية، وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نبحث عن بعض الأشتات المتفرقة التي قد تكون في مقالٍ، أو بحث علمي، فلم نعثر على ذي بال، وهو ما يعني بكارة هذا الموضوع، وجدارته بالدراسة والنقد.

وتنطلق الدراسة من مبدأ تواصلي تفرزه طبيعة الرسالة التي تقوم على التبادلية، والتواصل؛ ومن هنا كان المنهج الأمثل الذي يمكن أن نحتذيه في موضوع كهذا هو (المنهج التداولي)، وما يتفرع عنه من نظريات التواصل والحجاج؛ لهذا سوف تحرص الدراسة على تناول أدب الرسائل النسائية بشكل تطبيقي من خلال التركيز على المقامية، وما يتعلق بها من المبادئ التداولية، والقوانين التواصلية؛ معتمدة في ذلك على النقاط الأبرز في الحقل التداولي، والنظريات النقدية المعاصرة؛ لأنها أكثر حيوية.

ويقوم هذا البحث على مقدمة توضّح أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ودراساته السابقة، ومنهجه، وتبويبه، ثم تمهيدٍ يعرّف بثلاث نقاط جوهرية، وهي: مفهوم أدب الرسائل وقيمته، ثم أدب الرسائل العربية في العصر الحديث، ثم أدب الرسائل في المملكة العربية السعودية، وموقع الرسائل النسائية منه، ثم تناقش

الدراسة المقامية ومبادئها التداولية في أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية)، وذلك من خلال أربعة مطالب، أولها: الرسائل النسائية ذات المقام العالي، وثانيها: الرسائل النسائية ذات المقام الموازي، وثالثها: الرسائل النسائية ذات المقام الأدنى، ورابعها: الرسائل النسائية ذات المقام المتفاعل، ثم خاتمة الدراسة وما تضمنته من نتائج وتوصيات، ثم لائحة بأهم مصادر الدراسة ومراجعها.

2. تمهيد: مفهوم أدب الرسائل وقيمته

حين نتأمل في معاجم اللغة، ونبحث عن أصل كلمة (الرسائل)، نجدها تندرج تحت الجذر اللغوي (رسل)، ففي (أساس البلاغة) للزمخشري: "رَسَلَ: راسله في كذا، وبينهما مكاتبات، ومراسلات، وتراسلوا، وأرسلته برسالة، وبرسول، وأرسلت إليه أن افعل كذا، وأرسل الله في الأمم رُسُلاً"(الزمخشري، ت.385هـ، ط. 2004، ص. 231).

وجاء في معجم الفيروز آبادي المعروف بـ (القاموس المحيط): "تراسلوا: أرسل بعضهم إلى بعض، وترسّل في قراءته: اتّأد" (الفيروز آبادي، ت.817هـ، ط.2004، 925)، وفي (لسان العرب) لابن منظور: "الرّسل: القطيع من كل شيء، والقطيع بعد القطيع، والتّرسل: من الرسل في الأمور والمنطق، كالتمهّل، والتوقّر، والتثبّت، وجمع الرسالة الرسائل، والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرِّسالة، والرَّسالة، والرسول، والرسيل" (ابن منظور، ت.711هـ، ط. 2004، 4/ص. 335).

وقد استعمل الرسائل نقدياً أبو هلال العسكري (395هـ) في كتابه (الصناعتين)، وذلك عندما قال: "واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا قافية، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل" (العسكري، ت.385هـ، ط. 1984، ص. 154).

ولعلنا نعود قليلاً إلى الوراء، وتحديداً إلى مطلع القرن الرابع الهجري، إذ يطالعنا ابن وهب الكاتب (335هـ) في كتابه (البرهان في وجوه البيان)، بوصفه من أقد الذين فصّلوا في مفهوم الرسائل، حيث يقول: "فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسلًا، أو احتجاجًا، أو حديثًا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه (...) فأما الرسائل، فالإنسان في فسحة من تحكيكها، وتكرّر النظر فيها، وإصلاح خللٍ إن وقع في شيء منها، ثم هي نافذةٌ على يد الرسول، أو في طيّ الكتاب، فقد كُفي صاحبها المقام الذي ذكرناه، والحصر الذي وصفناه" (ابن وهب الكاتب، ت.335هـ، ط. 1967، ص. 193).

ويظهر أن العرب قبل الإسلام عرفوا "جميع أنواع الرسائل الإشارية، والشفوية، والتدوينية" (المقداد، 1993، ص. 214)، فقد كانت الكتابة تعتمد على المشافهة في إيصال الرسائل التي تبعث مع أمناء يُنتخبون

لإبلاغها، أما أهل الحاضرة الذين كانوا أكثر تمدناً، فقد كان بعضهم يمارس الكتابة، ويتبادل الرسائل مع الآخرين، ولكن على نحو محدود وقليل (صفوت، 1937، 1/ 9).

ومع شروق شمس الإسلام زادت أهمية الكتابة بشكل عام، والرسائل بشكل خاص، وازدادت الرسائل قيمة وجمالية في مكاتبات الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك، والأمراء، والأعيان، ثم ارتفعت قيمة الرسائل وأهميتها بمرور الزمن مع الخلفاء الراشدين، ثم من جاء بعدهم من الخلفاء، والأمراء، والوزراء، في العهد الأموي، ثم العباسي، وما بعده، فكان للرسائل في عهد صدر الإسلام (قميحة، 1986) امتداد مهم، هيأها لأن تشكل أثراً تواصلاً جوهريّاً، ثم قيمة أدبية عالية تنضوي تحت ما يعرف بأدب الرسائل.

وقد استمر أدب الرسائل حاضراً ومؤثرًا بنوعيه: الديواني ذي الصبغة الرسمية، والوجداني ذي الطابع العاطفي، ومرّت الرسائل طوال هذا الزمن المتعاقب منذ القديم إلى العصر الحديث بمراحل فنية متنوعة، ظهرت من خلالها مدارس ترسلية مختلفة في صناعتها الكتابية، وسنّتها التواصلية، وسماتها الفنية، توهجت الرسائل فيها توهجاً ملحوظاً في أزمان خلت، ثم عصفت بها رياح الصنعة والتكلف في عهود تلت، إلى أن وصلنا إلى أعتاب العصر الحديث حيث أصبح للرسائل طابعاً مختلفاً.

وكان أدب الرسائل في المشرق العربي، وفي المغرب، والأندلس، شاهداً على غزارة هذا الأدب، وجدارته، فلقد توهج منذ القرون الأولى توهجاً ملحوظاً، وسار على نسقين: تواصلي، وجمالي، وبعد أن ترسخت قدمه في المشرق العربي وما حوله، امتد وهجه إلى المغرب، ثم الأندلس، وكانت الرسائل فيها بشكل عام نسخة أخرى لرسائل المشارقة، مع بعض التباين والاختلاف، واستمر أدب الرسائل حاضراً مع خفوت اعتراه منذ القرن التاسع الهجري إلى مطلع عصر النهضة الحديثة في القرن الثاني عشر الهجري، حيث اكتسبت الرسائل طابعًا عصريًا جديدًا.

1.2. أدب الرسائل العربية في العصر الحديث

يُرجِعُ كثير من النقاد والدارسين والمهتمين بأدب الرسائل ظهور هذا الأدب مجدّداً في العصر الحديث إلى بداية تطور الأدب في العصر الحديث، حيث يربطون ذلك التقدم الذي طال الأدب بتطور فنونه، وأجناسه، وأشكاله، ولعل من بين ذلك أدب الرسائل، غير أن هذا الأدب بدأ يعود إليه بريقه بعد تلك الدوافع والمؤثرات التي ساهمت في نهضة الأدب عموماً، وبخاصة ما حدث في مصر من دخول المطابع، ونشوء الصحافة، وانتشار البعثات، وتأسّس الجامعات، ونحو ذلك.

لكن الذي لا ينتبه له كثير من الدارسين أن أدب الرسائل بدأ أول ما بدأ في نجد، وتحديداً مع الدعوة الإصلاحية المباركة التي قام بها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – إذ كانت الرسائل تنبع من شبه

الجزيرة العربية بوصفها وسيلة للدعوة، والتواصل مع الآخرين من المناوئين، والمناهضين، فكانت الرسائل وسيلة تبادل علمي، وفكري، يتناقلها أرباب الدعوة، وأصحابها، وتلامذتها، ومؤيدوها، ومخالفوها. وللأسف أن كثيراً من النقاد يغفل – بقصد أو بغير قصد – عن التنبيه على أن الدعوة المباركة كانت وقوداً لتطور أدب الرسائل فيما بعد قبل أن تلبس لباسًا أدبيًّا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري.

وإنه "من المسلّم به تاريخيًّا أن أسبق نهضة قامت في البلاد العربية والإسلامية هي تلك التي قادها الإمامان محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن سعود في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وكانت منطلقها الدرعية (...) وفي مصر بدأت النهضة في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فلقد أرّخ بعضهم لبداية النهضة في مصر بسنة 1213هـ (...) وخلاصة القول في ذلك أن الأدب الحديث هو ذلك الأدب الذي صنعه أربابه من بداية النهضة الحديثة إلى أيامناه هذه، مهما طال الزمن الداخل في مفهوم العصر الحديث (...) وعلى هذا يكون الأدب الحديث عندنا هو ما صنع في القرون: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر للهجرة النبوية الشريفة، أما المعاصر فإنه الذي صنع فيما بعد منتصف القرن الرابع عشر للهجرة" (ابن حسين، 1997، ص. 13 - 20).

وعلى ذلك يكون أدب الرسائل في العصر الحديث متوافقًا مع هذا التحديد، إذ يمكن تحديد بدايته مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ثم تحديد انطلاقته منذ عام 1213هـ وما بعده، ولهذا يمكن ربط أدب الرسائل بعد دعوة الشيخ المباركة بالأدباء الذين أعادوا لأدب الرسائل قيمته، وبعثوا فيه انطلاقته، وأيقظوه من رقدته، ولعلنا نذكر من أبرز هؤلاء: المصري عبد الله فكري (1834 – 1889)، وهو "وزير مصري من المتأدبين، ولد بمكة (...) ونشأ في القاهرة، وتعلّم بالأزهر (...) له كتب (...) ورسائل، ومقالات" (الزركلي، 2002، ص. 13)، وكذا الحال عند اللبناني الأمير شكيب أرسلان (1869 – 1946) فإنه ربما يأتي بعد عبد الله فكري في سلسلة روّاد أدب الرسائل في العصر الحديث؛ ويدل على ذلك أنه "جاء في رسالة له بعث بها إلى صديقه السيد هاشم الأتاسي عام 1935، أنه أحصى ما كتبه في ذلك العام، فكان 1781 رسالة خاصة (...) وعرّفه خليل مطران بإمام المترسلين" (الزركلي، 2002، ص. 174).

ثم يظهر بعد ذلك الأدباء المتميزون في ترسّلهم، وهم أولئك الذين عرفوا من خلال الرسائل، وعرفت من خلالهم، وكان من أبرزهم: مصطفى لطفي المنفلوطي (ت.1924)، ثم مصطفى صادق الرافعي (ت.1937)، ثم عباس محمود العقاد (ت.1964)، ثم توالى الأدباء الذين وجّهوا جزءًا من إبداعهم إلى أدب الرسائل، فظهر أمثال: ملك حفني ناصف (ت.1918)، وهي أديبة مصرية، ويعقوب صروف (ت.1927)، وجبران خليل جبران (ت.1931)، ومي زيادة (ت.1941)، ومصطفى عبد الرازق (ت.1944)، وخليل مطران

(ت.1949)، ومحمد لطفي جمعة (ت.1953)، وروز اليوسف (ت.1958)، وهي أديبة لبنانية (الزركلي، 2002).

كما كان لبعض الشعراء فيما بعد حضورهم في أدب الرسائل، فكتب بعضهم الرسائل خالية من الشعر، وبرع آخرون في كتابة الرسائل الشعرية، وكان من بين أولئك على سبيل المثال: معروف الرصافي (ت.1945)، وبدر شاكر السياب (ت. 1964)، ونزار قباني (ت.1998)، ونازك الملائكة (ت.2007)، ومحمود درويش (ت.2008)، وسميح القاسم (ت.2014)، وغيرهم (يعقوب، 2004، الباوي، د.ت).

ويتوجه التركيز في هذه الدراسة كثيرًا على الأدبيات اللواتي عرفن بترسلهن، وتحديدًا: ملك حفني ناصف التي يمكننا عدّها من أوائل المترسلات في العصر الحديث قبل مي زيادة، ثم تأتي بعدهما روز اليوسف لتكمل مثلث أدب الرسائل النسائية الأبرز في العصر الحديث، ومن هنا عددناهن من أميز الأديبات اللاتي خضن تجربة الكتابة الترسلية في القرن المنصرم (القرن الرابع عشر الهجري 1300 - 1400)، فأما ملك بنت حفني ناصف التي عُرفت بباحثة البادية، فهي "كاتبة، شاعرة، خطيبة، كانت أشهر فضليات المسلمات في عصرها، مولدها ووفاتها في القاهرة" (الزركلي، 2002، 7/ 287 - 288).

وأما مي زيادة فهي "ماري إلياس زيادة، المعروفة بمي، أديبة كاتبة، نابغة، قال فيها مصطفى عبد الرازق: أديبة جيل، كتبت في الجرائد، والمجلات، وألّفت الكتب، والرسائل، وألقت الخطب والمحاضرات، وجاش صدرها بالشعر أحيانًا, وكانت نصيرة ممتازة للأدب، تعقد للأدباء في دارها مجلسًا أسبوعيًّا"(الزركلي، 2002، 253/5)، ولها العديد من الرسائل التي راسلت من خلالها شخصيات متنوعة، كرسائلها المشهورة إلى كبار الأدباء في عصرها، وكما في رسائلها المغمورة كتلك التي بعثتها إلى الأمير سعيد الجزائري، ورسائلها إلى محمد فريد وجدي، ومحمد صبري، وسليم سركيس، وكريمته نجلاء، وغيرهم (زيادة، 2009).

ثم لا نلحظ بعد مي زيادة من الأسماء النسائية المترسلة في العصر الحديث ما يستحق الوقوف عنده، أو يلفت الانتباه، بل تكاد أن تنقطع الأسماء أو تقلّ، وهذا على صعيد أدب الرسائل في عمومه عند الرجال والنساء على حد سواء، فكيف به عند النساء وحدهن؛ ولهذا اكتسبت مي زيادة قيمة عالية في ريادتها لأدب الرسائل النسائية في العصر الحديث، ولست أغالي إذا قلت: على مستوى أدب الرسائل عمومًا منذ القديم إلى عصرنا هذا.

على أن روز اليوسف قدّمت بعض التجارب الرسائلية التي وردت ضمن مجموعة الرسائل في كتاب (رسائل المشاهير) (كمال الدين، 2009)، وإذا علمنا أن وفاتها كانت في 1958م أدركنا أنها جاءت لاحقة لمي زيادة التي توفيت في 1914، ومن هنا تكون رسائل روز اليوسف إضافة إلى حصيلة الأدب الرسائلي النسائي في العصر الحديث.

ثم تطالعنا الشاعرة العراقية نازك الملائكة في رسائلها التي كاتبت من خلالها بعض أدباء عصرها، وهي رسائل مخطوطة ونفيسة كُتبت في الأعوام 1948 – 1985 (النجار، 2002)، ولعل نازكاً تميزت عن سابقاتها من مترسلات العصر الحديث في دخولها إلى ميدان الرسائل من بوابة الشعر، وهو ما جعل رسائلها أكثر أدبية، وشاعرية، وإن كانت المترسلات قبلها أكثر تدفقاً وعفوية.

ثم نصل إلى غادة السمان، وهي "أديبة قصصية، وشاعرة، وُلدت في قرية الشامية في سوريا" (يعقوب، 2004، ص. 878)، ولها ديوان رسائل بعنوان (رسائل الحنين إلى الياسمين) (السمان، 2019)، وقد تميزت بأنها من أواخر المترسلات البارزات في عصرنا هذا؛ ذلك أنها راسلت بعض الكتّاب المعروفين، والأدباء المشهورين، كما أنها خصّصت مُؤَلَّفًا مستقلًا (ديوان رسائل)، وهو مما لم تسبق إليه، واعتنت بسيميائية غلافها الدال على الطابع الرسائلي بما يحويه من دلالات الطوابع، والظروف، وإيحاءات الرسالة (السمان، 2019).

وبشكل عام، فإن المدونة الرسائلية في العصر الحديث كانت متوافرة، ومتنوعة، وبعضها ذات جودة عالية، وبعضها دون ذلك، ومن يتأمل في مدونات الرافعي الرسائلية – على سبيل المثال – سيجد أدبًا رسائليًّا يستحق أن يوصف بالتميز والرقي، ويمكن ملامسة ذلك في كتابه (رسائل الأحزان)، و(السحاب الأحمر)، و(أوراق الورد)، وأسهمت مي زيادة بشيء من التجويد في ميدان أدب الرسائل، ويحمد لها أن سنّت لمن جاء بعدها طريقاً متميزاً في أدب الرسائل، سواء للأدباء أو الأديبات، الذين راسلوها (الكزبري وبشروئي، 1984)، أو راسَلَتهم (غازي، 2015).

وحين نبحث في أدب الرسائل في العصر الحديث، نجد أن المترسلين أكثر من المترسلات، كما نجد مدونات الأدباء في الرسائل أكثر وأغزر، ولم نر من أديبات العصر الحديث – عدا ما ذكرناهن – من يمكن أن تكون علامة بارزة، أو أثراً واضحاً في هذا الميدان الرحيب، وقد بحثنا في بعض المعاجم المعاصرة (الزركلي، 2002؛ يعقوب، 2004)، فلم نظفر إلا بنزر قليل من الأسماء التي تشير إلى الرسائل إشارات عابرة في عناوينها، فتتخذها مطية لإبداع أجناس أخرى، كالشعر، والقصة، والمذكرات، ونحوها، وهو ما يعني شح المدونة الرسائلية النسائية، إلا إذا التفتنا إلى عصرنا هذا, واتجهنا – تحديداً – إلى الأدب السعودي، فإننا لا نعدم وجود مدونات قمينة بالرصد والنقد.

2.2. أدب الرسائل في المملكة العربية السعودية، وموقع الرسائل النسائية منه

شهد الأدب السعودي منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى في العام (1139هـ/1727م) تطورًا متصاعدًا في أدب الرسائل، وللأسف أن النقاد السعوديين، وغير السعوديين لم يتفطنوا إلى هذا التدرج الملموس، والتوهج

الملحوظ الذي بدأت وتيرته تتزايد مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في نجد، وما حولها، فقد أسهمت الدعوة في تنامي الاهتمام بالرسائل، ولا سيما أنه الوسيلة الأهم في نشر هذه الدعوة، وتوسيع رقعتها.

ولذلك يمكن القول: إن أدب الرسائل في العهد السعودي كان هو الأصل الذي تعود إليه انطلاقة أدب الرسائل، والمورد الذي تنهل منه المدونة الرسائلية، وإن كان في ذلك الوقت أدباً ذا طابع تواصلي، اجتماعي، ديني، وعظي، سياسي، غير أنه الأساس الذي تبني على لبناته كل أشكال الأدب الرسائلي السعودي.

ولهذا فقد "شهد فن الرسائل تطوراً وازدهاراً، خصوصاً مع دعوة الإمامين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، حيث وظّفت الرسالة في خدمة هذه الدعوة، وإن كانت في بداياتها قد شهدت منهجين: أحدهما فصيح اللفظ خال من شوائب العامية، والثاني يجنح إلى استعمال اللهجات الدارجة. أما أسلوب هذه الرسائل فجاء سهلًا، خاليًا من التعقيد اللفظي، والصنعة اللفظية، وتتجلى فيه المواءمة بين بساطة المعنى، وعفوية الشكل" (الحارثي، 2020).

ولو أردنا المرور السريع على أهم الأسماء المترسلة، فإننا أمام كم لا بأس به من المترسلين منذ عهد الدولة السعودية الأولى إلى توحيد المملكة العربية السعودية تحت هذا المسمى في عهد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود – طيّب الله ثراه – حيث تنحو الرسائل منحى مختلفاً ومتطوراً، ويمكن أن نشير إلى بعض المترسلين في هذه المرحلة الزمنية من قبيل: الشيخ عبد الله بن محمد الكردي (ت.1806)، وهو أحد علماء الأحساء، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل شيخ (ت.1876)، من علماء الرياض، والشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك (ت. 1924)، وغيرهم (الحارثي، 2020).

ثم ظهر بعد ذلك كتّابُ الرسائل السعوديون الذين ألبسوا الرسالة ثوبها الأدبي، وطابعها الجمالي، فأضحى أدب الرسائل معهم ذا لون فني شائق، "وقد تطوّرت مكوناته الشكلية، واختلف أسلوبه باختلاف موضوعاته، وبلغ مكانة عالية من التطور والتجويد لتوافر عناصر ازدهاره، من صدق العاطفة، وإبداع في انتقاء الألفاظ، والبساطة في عرض الأفكار، وتجنب للتطويل والتراكيب المعقدة، وهو ما ندركه في الإنتاج الأدبي الترسلي الذي ورثه الكتاب السعوديون من أمثال: حمزة شحاتة، ومحمد عمر توفيق، وحسين سرحان، ومحمد حسن عواد، وأحمد آل الشيخ مبارك، وعبد الله بن خميس، وعبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، وسعد البواردي، وسليمان الحقيل، ومحمد العوين، وغيرهم" (الحارثي، 2020، ص. 73).

ومع هذه الوفرة التي شهدها أدب الرسائل في المملكة العربية السعودي، ومع هذه الغزارة في الأسماء، والموضوعات، والنماذج، ظلّت المرأة السعودية غائبة عن مسرح هذا الأدب، وهو غياب كان للنقاد أثرهم الأكبر

في رسم صورته، مع أننا لا نعدم ظهور مترسلات سعوديات من قبيل: أميمة الخميس، وسميرة بنت الجزيرة، وشيرين حمزة شحاتة، وهند باغفار (الحارثي، 2020)، وغيرهن.

ويمكنني هنا أن أضيف من ضمن أسماء المترسلات السعوديات ممن شاهدتُ في إبداعهن شيئًا من الحيوية، والأدبية، والجمالية، في فضاء الأدب الرسائلي: غادة الخضير، أميمة الخميس، بدرية المعتاز، زكية العتيبي، فوزية أبو خالد، هدى الدغفق، وهؤلاء ممن كتبنَ مدونات رسائلية مطبوعة، أو بشكل خاص، أو كان بينهن مراسلات، وعلى أي حال فهنَّ من الكاتبات المتمرسات، وممن بلغنّ سن النضج في العمر، والكتابة، وقد أبدعن في نسج الرسائل في مفهومها التواصلي والجمالي، ومدوناتهن تشي بذلك على نحو ما سنبينه في مطالب هذا البحث.

وثمة أسماء معاصرة في المشهد الثقافي والأدبي، وهن في أكثرهن من الفتيات التي تتراوح أعمارهن ما بين 20 – 40 عاماً (زمن كتابة هذه الدراسة)، وقد أبدعنَ أيضاً في إخراج مدونات رسائلية جيدة، على أن بعض رسائلهن لا تشعرك في أثرها الرسائلي إلا من خلال عنوانها، ومع ذلك فهي في أكثرها مدونات ذات طابع عاطفي أكثر من كونها ذات صبغة أدبية، وهو أمر أراه طبيعياً في نظري؛ وذلك لسببين:

أحدهما – طبيعة الأنثى الميالة إلى العاطفة، ولغة السكون، والهدوء، والرقة.

وثانيهما — محدودية السن، وصغر العمر؛ فأكثرهن من الكاتبات ذوات الأقلام الواعدة، أو المبتدئة.

ولعل منهن مثلاً: نائلة حسن القاضي، عطاف سالم، أشواق مهجع، مرام جار الله، انتصار آل مجاهد، إسراء بساطي، رؤى عبيد، وسما، رهف عبد الله، بشاير عبد اللطيف العمار، مشاعل خالد، ريوف الفيصل، فاتن حمود، عواطف الغامدي، وعهود القرشي، وغيرهن.

3. المقامية ومبادئ التواصل في أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية: *مدخل*

يتشكل المقام في التواصل اللغوي، والأدبي، وفي الخطاب عموماً من: (مرسل، ومرسل إليه، ورسالة، أو سياق، أو سنن مقامي)، وهي – بحسب تعبير ياكبسون (1982) – "من العوامل المكونة لكل سيرورة لسانية، ولكل فعل تواصلي لفظي. إن المرسل يوجّه رسالة إلى المرسل إليه؛ ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي بادئ ذي بدء سياقاً تحيل عليه (...) وتقتضي الرسالة أخيراً اتصالاً، أي قناة فيزيقية، وربطاً نفسياً بين المرسل، والمرسل إليه، اتصالاً يسمح لها بإقامة التواصل، والحفاظ عليه" (ياكبسون، 1988، ص. 27).

ويرى التداوليون في (المقامية) مظهرًا مهمًا من مظاهر الأثر التواصلي الحجاجي، فالمرسل هو الشخص الذي يرسل، والمرسل إليه هو الشخص الذي نوجّه إليه إرسالاً بصفة عامة، ويعرف أيضاً بالمستقبل، أو المتلقي أي الذي يتلقى ويستقبل (مولز، 2014)، وهذه العناصر متضافرة يمكن أن نصفها بمقامات التخاطب، أو المقام التخاطبي، أو السياق المقامي، أو السنن المقامي، وينعتها بعض اللسانيين – من جانب لغوي — بالمشيرات المقامية،

وتعني "كل لفظ قائم بفعل الإشارة إلى المقام، والمراد بالمقام كل ما يقوم به اللفظ مما هو ليس بلفظي حال اللفظ، فهذا هو المدلول عليه باسم الفاعل من فعل الإشارة، والمدلول عليه بنعته بالنسبة إلى المقام، والمدلول عليه باسم الزمان والمكان من فعل القيام، أما كونه غير لفظ" (باديس، 2009، ص. vii).

وتتوجه الدراسات التداولية المعاصرة إلى أن المقام ذو وجوه ثلاثة، تتضافر جميعها لتجعل منه وحدة نتحدث عنها في صيغة المفرد، دون أن يغيب عن أذهاننا أنها وحدة متعددة الوجوه، فأما تلك الوجوه فهي: مقام الحضور، ومقام المعرفة المشتركة، ومقام الخيال، ويدخل في ذلك مقام التخاطب، ومقام التكلم، أو ما يعرف بالمقام التخاطبي (باديس، 2009).

ويأتي (المقام التخاطبي) بوصفه المصطلح الأنسب لتمثيل المقامية في الأعمال اللغوية، والنصوص الأدبية، "وقد حرص (قاردنا Gardiner) على أن يرفع الالتباس عن مفهوم المقام التخاطبي موضّحًا أنه: ليس عاملًا من عوامل الخطاب، بل هو الإطار الذي لولاه لما تمكّن الخطاب من أن ينجز، فالمقام التخاطبي إطار يتحدد زمانًا ومكانًا بلحظة التخاطب، والعلاقة بينه وبين التخاطب علاقة جدلية، إذ يحدد أحدهما الآخر، ويتأثر به، فالتلفظ لا يكون إلا في مقام ما، والمقام لا يتعين إلا بعملية التلفظ بحدث خطاب يحدد لحظ زمانية معينة في الآن" (باديس، 2009، ص. 35).

وقد ركزّ النقاد العرب قديماً على المقام في معرض إشاراتهم النقدية، فمن ذلك مثلًا ما ألمح إليه الجاحظ (ت255ه) في (البيان والتبيين) عندما قال: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس ينفع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال" (الجاحظ، ت.255هـ، ط. 1994، 1/ 144)، وأوضح الجاحظ في كتابه هذا بعض المقامات التي ينبغي أن يراعيها المتكلم، أو المخاطب، وما يجب عليه من التوفيق بين أقدار الحالات والمخاطبين، يقول: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقةٍ من ذلك كلاماً، ولكل حالةٍ من ذلك مقاماً، حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" (الجاحظ، ت.255هـ، ط. 1994، 1/ 143).

وتتجلى المقامات بشكل أوضح عند الجاحظ في تصنيف المخاطب إلى القروي، والبدوي، والعجمي، والأعرابي، "فكلام الناس إذن في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات" (الجاحظ، ت.255هـ، ط. 1994، 1/ 147)، كما ركّز البلاغيون العرب قديماً أيضًا على ضرورة التعرف على مقامات الكلام المتفاوتة، فكل مقام خطابي يباين مقامًا خطابيًّا مضادًا له، فمقام التنكير مثلاً يباين مقام التعريف، وخطاب الذكي يباين

خطاب الغبي (القزويني، ت.739هـ، ط. 2002، ص. 16)، وهكذا اهتموا بوضع معايير مقامية لكل وضع تلفظي، أو خطاب تبادلي.

ويتوسّع ابن قتيبة (276هـ) في توصيف المقام، فيربطه بالمخاطب ربطًا مباشرًا، وذلك عندما قسّم المخاطبين إلى رفيع، ووضيع، فقال: "ونستحبُّ له أيضاً أن يُنَزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطيَ خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيعَ الكلام؛ فإنّي رأيت الكُتَّاب قد تركوا تفقّد هذا من أنفسهم، وخلَّطُوا فيه؛ فليس يفرقون بين من يكتب إليه فَرَأْيَكَ في كذا، وبين من يكتب إليه فإنْ رأيت كذا ورأيك إنما يُكتبُ بها إلى الأكفاء والمساوين، لا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء والأستاذِين؛ لأن فيها معنى الأمر، ولذلك نُصِبَتْ، ولا يَفْرُقون بين من يكتب إليه: وأنا فعلتُ ذلك، وبين من يكتب إليه: ونحن فعلنا ذلك، ونحن لا يكتب بها عن نفسه إلا آمرٌ أو ناهٍ؛ لأنها من كلام الملوك والعظماء" (ابن قتيبة، ت.276هـ، ط. 2003، ص24).

فمن خلال هذا التفصيل المقامي الذي أشار إليه ابن قتيبة، وألمح الجاحظ من قبل إلى بعض ملامحه، نستطيع الانطلاق منه لرسم مقامات تخاطبية لأدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية على ثلاثة مقامات هي: المقام العالي، والمقام الموازي، والمقام الأدنى، فتارة تصدر الرسائل إلى من هم أصحاب شأن عالٍ، وتارة تتوجه إلى من هم مناظرون، وأحياناً تكون مكتوبة إلى من هم أقل شأنًا، أو أصغر أثرًا وقدرًا، ويمكن تفصيل تلك المقامات الترسلية، والتطبيق عليها من خلال المدونة الرسائلية النسائية في المملكة العربية السعودية على النحو الآتي:

1.3. الرسائل النسائية ذات المقام العالي

ونعني بها تلك الرسائل التي تكتبها المترسلات السعوديات إلى ذوي المكانة الكبيرة، والقيمة المعنوية العالية، ومن يمكن أن يمنحونا العواطف بكل معانيها، وهؤلاء عادة هم الأقربون، وذوو القدْر الأهم، ولعل من أهمهم مثلًا: الأب، أو الأم، أو الزوج، أو الأخ، أو الأخت، أو نحوهم ممن له فضل كبير على الكاتب يجعله يراسله على نحو من الهيبة، والتودد، والتلطف، والاحترام، والتقدير.

والمتأمل في أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية يجد نماذج ثرة من هذا المقام، فمن ذلك مثلًا ما وجدناه عن (هند باغفّار) في أعمالها الرسائلية، حيث نراها (تكتب *إلى أبيها*)، كما في عملها الموسوم ب (نافذة على الحائط المهدوم) تقول مثلًا: **"لقد هدّني موتك يا أبي، وحطّمت أحزاني عليك كل معاقلي وطموحي، وقُدّر لي أن أنام على وسائد العذاب، بعد أن افترشت أسرّة الهموم قدرًا يا أبي أعاد للخالق وديعته، ورغم عظم الفجيعة آمنت بعدله وقضائه، ولكن ما حيلتي اليوم وأنا أفكر بالغد، فلم أكن أبتي أقوى على فراقك ساعة واحدة، فكيف بي بفراق العمر كله"** (باغفار، 1978، ص. 15).

وفي الرسالة ذاتها تقول: **"قلبي حزين يا أبي، ومن اليأس والحزن تصنع دائمًا أشياء عظيمة، وبموتك تقطّعت عروق سعادتي، فانفجرت شرايين قريحتي دونما حساب، وبتّ اتخذ من الكتابة ملاذًا تستكين عنده همومي، وصرت أعشق بكاء قلمي على القرطاس. أبي يا أغلى من أحببت، ويا أحب من لاقيت (...) أبي يا أعز الناس، ويا كُلّ الناس، يا روضة الروح، ونور البصر، ندائي إليك كم طال، وكم سيطول .."** (باغفار، 1978، ص. 16).

فمقام الرسالة هنا يتوجه إلى الأب وإن كان ميتًا؛ إذ المعول عليه هو المقام، وهو ما ينطوي تحته من علاقات الحب، والود، والتقدير، والإعزاز، وبذلك يتضح المستوى المقامي الذي انطلقت فيه الرسالة، وتتضح المكانة العالية التي تتعامل معها الكاتبة في خطاب الأب؛ ومن هنا يعتني التداوليون بالمتلقي عنايتهم بالمقام، فالمتلقي هو الطرف الذي يُوجَّهُ إليه الخطاب، وهو العنصر المحدِّد لبنية الخطاب، والعناية بمقامه هي الموجّهةُ لنوعية الكلام وتراكيبه (الشهري، 2004).

ولئن كان للمتلقي – حاضرًا كان أم غائبًا، حيًّا أم ميتًا – مكانة عالية في نفس المرسل، فإن المقام حينئذ سيصبح مقامًا مختلفًا، مليئًا بالاحترام، ومنح المخاطب ما يستحق من قيمة سامية، وقد شاهدنا ذلك مع (هند باغفار) في رسالتها السابقة إلى الأب الراحل، كما رأيناها في رسالة أخرى لها ضمن المدونة نفسها، حيث تؤكد الكتابة على أن الكتابة للأب ليست كأي كتابة، بل هي أعظم من ذلك، تقول مثلًا في رسالة بعنوان (إلى أبتي بعد الرحيل): **"أبي، رسائلي التي أكتبها لك دائماً، لا تعتبر مجرد رسائل تتأنق فيها الحروف، وتسطرها رشات الحبر، إنما هي قطع من نفسي أسجّل كلماتها بدمي، وآخذ معانيها من معاناتي (...) أبي، يا كل أحبتي، وكل عالمي، لهفتي عليك تمزقني، وتهدم قلبي المفجوع، والطريق إليك طويل، والأبواب موصدة، والسبل مسدودة"** (باغفار، 1978، ص. 39 – 40).

ويحضر الأب في رسائل (هند باغفار) حضورًا كثيرًا يمثل نمط المقام العالي الذي تدور فيه رسائل الكاتبات السعوديات، ففي مدوناتها الرسائلية الأخرى يظهر الأب بين رسالة وأخرى، تقول مثلًا في عملها الذي عنونته بـ (اعترافات امرأة): **"ثلاثون عامًا يا أبي مدفونًا تحت الثرى، ولكنك ساطع في مهجتي كضوء القمر، ثلاثون عامًا وأنت الغائب الحاضر، وأنت الآمر والناهي على أصعب قرارتي، ثلاثون عاماً يا أبي، ولا تنفك منك عقدتي، ولا تنفلت، ثلاثون عاماً أراك مجسدّاً في صورتي من منبت الشعر حتى القدم، عرفت بعدك كواكب الرجال من كل صوب وحدب، وقارنتهم معك، فرجحت موازينك عندي، وظللت وحدك غاية الأرب"** (باغفار، 1999، ص. 50).

وقد نلمس في بعض الرسائل التي تخاطب الأب جانباً تواصلياً، لكنه لا يخلو من أدبيةٍ تضفي عليه نوعًا من الاهتمام، يلفت الانتباه، ففي الديوان الرسائلي الذي عنونته كاتبتاه بـ (كُتِبت) نرى هذا النص: **"مساؤكَ مسكٌ يا أبي، سأغادر يوم الأحد في رحلة عمل (...) أعدك أنني سأكون الرياح التي تشتهي سفينتك"** (عبيد، 2020)، ومثل ذلك أيضاً رسالة إلى الأب في مدونة (رسائل لم تقرأ) لأشواق مهجع، تقول فيها: **"أتمنى لو أني امتلكت رسالة واحدة منك تحمل خط يدك، ورائحة عطرك؛ لتبقى لي بعد رحيلك يا أبي"** (مهجع، 2019، ص. 54).

ومن أشكال المقام العالي الذي تضطلع به خطابات الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية *(الكتابة إلى الأم)*، وفيها يتجلى مستوى الكتابة بشكل تفخيمي، وتوقيري، فمن ذلك مثلًا ما وجدناه عند (بدرية المعتاز) في مدونتها الرسائلية (قوافل) حيث نلمح هذا النص الموجّه إلى الأم، تقول مثلًا: **"أين الحق يا أماه؟ (...) يقطع الدعاء صوت ضعيف واه، (أماه أين أنت)؟ تقترب منه، تمسح جبينه، وتزيل عنها حبات عرق الألم، وأنات العذاب قائلة: أنا هنا يا صغيري، ماذا تريد؟"** (المعتاز، 2007، ص. 26 – 27).

وتقول زكية العتيبي في (رسائل متعثرة): **"سأخاف على أمي الألم، سأشعر بها حتى الرابعة فجرًا، وأطفئ النار عن سحور العائلة، ثم أقول لها: كل عام وأنت أجمل أم لتلك الطفلة التي صارت أمًّا"** (العتيبي، 2015، ص. 55).

وفي عملها (اعترافات امرأة) تقدم لنا (هند باغفار) رسائل إلى الأم، أو على لسان حال الأم، وهي رسائل تمثل نمط المقام العالي، فمن ذلك قولها مثلاً: **"وضحكت من كل قلبي، وقلت ألم تغير الأيام رأيك فيّ يا أمي (...) ما زلت أحمل في داخلي مخزوناً هائلاً عنها، إنها شخصيتي الأثيرة والتي لن أتنازل عنها (...) فليرحمك الله، ويتغمدك في فسيح جناته يا مبعث إلهامي الضاحك، يا أيتها المرأة المدهشة، يا أمي حفصة"** (باغفار، 1999، ص. 101 – 102).

وفي رسالة أخرى ضمن المدونة نفسها تخصّ الأم بنصٍّ مستقل، وتعنونه بها (أمي)، فتقول في بعض ما جاء منها: **"نحاول أن ننزع من مهاجعنا الأشواك، ونستبين أوجها أخر. الله يا أمي، أما آن لفوارس الوجع أن تترجل من مناكبنا؟! أما آن للجرح أن يندمل؟ الله يا أمي، متى ننسى؟ متى نأسى؟ وإن نسينا نحن يا أمي، فهل تاريخنا ينسى؟ .."** (باغفار، 1999، ص. 129)، وقد أسهم الاستفهام في هذا النص بتجلية المبدأ التواصلي.

ويأتي التصريح في آخر الرسالة دليلًا واضحًا على تحديد المقام العالي في نسق الرسالة، كما أن النص على الأم، وذكر الاسم، والنداء هي ملامح تقوي من حضور هذا اللون من ألوان المقامات التخاطبية في الرسائل

النسائية السعودية، ويدل مثل هذا التخصيص على أن "المتلقي هو العنصر الأكثر فاعلية في الاستراتيجية الحجاجية, فقد صُنع الخطاب لأجله، فضلًا عن إنه المحدّد لنوع الخطاب، وآلياته المؤثرة" (الحنوش، 2021، ص. 72).

وإذا كانت صناعة الخطاب تالية لمعرفة المقام، وتستلزم من المنشئ أن يكون بليغًا بما يمكّن المخاطب من الغرض المقصود لتحقيق المنفعة من خلال المناسبة بين المقال والمقام (سليماني، 2021)، فإن المقام العالي في الخطابات الرسائلية يعد شكلًا واضحًا من أشكال سعي الكاتبة إلى الارتقاء بمخاطبها، وتحقيق غايات التخاطب الأسمى، وقد رأينا ذلك واضحًا عند الكتابة المباشرة إلى الأب، أو الأم، كما في النصوص السابقة.

على أن المترسلات السعوديات في مقام التخاطب العالي قد يتوجهن برسائلهن إلى غير الأب، والأم، وذلك *كمراسلة الأستاذ*، أو المعلم، وقد شاهدنا ذلك مثلاً عند (هند باغفار) في كتابها (ضائعة في خطوط يديك)، إذ وضعت عنوانًا ذا طابع مقامي (أستاذي الكبير)، ولعل هذا مما تميزت به بعض رسائل الكاتبة، تقول مثلًا في رسالتها هذه: **"يا أستاذي الكبير، يا أعظم مدرسة احتوتني، وشكّلت حواجز مفاهيمي، لا أكتب بعد النهاية، ولكني أكتب للحظة البداية، للتاريخ الحقيقي لتواجدنا معًا. لقد أتيت وطرقت باب قلعتك المنيع حتى انفتح ورأيتك من خلال السكون قابعًا كعابد مطمئن تقرأ فوق منبرك العاجي، وناديتك بالصوت العالي، وطلبت منك النزول؛ لأني لا أقوى على الصعود, واستجبت لي، وباشرت النزول متمهلًا خطوة خطوة في السلم الطويل (...) يا أستاذي الكبير، يا من علمتني كل شيء (...) أنا لا أخاف منبرك ولا أكرهه، بل أحبه وأعتز به وبك، وشعوري هذا نابع من أعماقي.."** (باغفار، 1988، ص. 148 – 149).

والمتأمل في مثل هذا النص يلحظ امتلاءه بعبارات التقدير، والاحترام (يا أستاذي الكبير – أعظم مدرسة – باب قلعتك المنيع – كعابد مطمئن – العالي – طلبت منك النزول – يا من علمتني – بل أحبه – وأعتز به – وبك)، كما أن توظيف اللون الحكائي في مثل هذا النص، وفق هذا المقام، يعطي روحًا سردية تضيف للمخاطب اهتمامًا أعلى، وقيمة أسمى.

ويعد الزوج، والرفيق، والحبيب، من المخاطبين الذين يكشفون عن نمطٍ تخاطبي عالٍ؛ ذلك أن المخاطب يمنحهم كثيرًا من مشاعر الاحترام، والتبجيل، ولعل من ذلك ما رأيناه في مدونة (الرسائل الراحلة) لنائلة القاضي، حيث وجدنا فيها مثل قولها: **"حبيبي عبد الرحمن، بالأمس اعتصرني الأسى حينما أبلغتَني أنك مصاب بكورونا (...) أيها الرفيق الحبيب البعيد، لبعدك عن عيني لا أستطيع رؤية عينيك (...) يا رفيق الدرب.. أومن بتجاوزك المصاعب (...) سوف أحاول أن أكون بخير من أجل ابننا، أرجوك انهض من سريرك الأبيض. إني عائدة ومنتصرة.. نائلة"** (القاضي، 2020، ص. 9، 15، 69، 92).

وقد يدخل المخاطب الذي تناجيه الكاتبة بحزن أو أسى، ضمن المقام العالي؛ ذلك أن المترسلات وفق هذا القانون التخاطبي يتكئن على بعض المبادئ التداولية، والمشيرات الخطابية ذات اللون الاحتفائي، فيتوجهن بذلك إلى أنماط من المخاطبين من قبيل (سيدي – فقيدي – أيها القلب..) فمن ذلك مثلًا ما ورد في مدونة (كُتب في الشتاء) لمرام جار الله، حيث تقول: **"لم أصبح غنيةً فأهديك وقفاً، ولم أصبح شاعرة فألقي لك شعري، ولم أصبح مغنيّة وأغني لك ليلاً (...) سيدي النائم، ها أنا أهدي لك التوق بين سطور كلماتي (...) فقيدي، تختلط الروائح لكنني لا أستنشق إلا رائحتك (...) إليك يا من رسم السعادة بقلبي، إليك يا من سكن الأرض فأحبته الأرض (...) فقيدي، ستبقى جرحاً في قلبي، جرحاً سيلازمني حتى الكبر"** (جار الله، 2021، ص. 10، 22، 28، 31).

وتقول (مشاعل خالد) في مدونتها (رسائل إلى ماريا): **"ماريّا، رسالة في الثامن من سبتمبر، مرحبًا أيها القلب الغريب، منذ زمنٍ طويل لم أكتب لك، فأنا اعتزلت مهنة كتابتي للحب على نحو حقيقي، واعتزلت مهنة البدء بالمراسلة لوقتٍ طويل على الأقل. إن التوقف يصيبني بالجنون، ويصيب قلبي باضطرابات لم يستطع أحدهم تفسيرها كما تفعل أحرفي.."** (خالد، 2021، ص. 64).

ومثل ذلك الرسائل إلى الحبيبة، بوصفها ذات مكانة عزيزة في نفس الكاتبة، وقد لوحظ هذا المقام في (مأتم الورود) لـ (سميرة بنت الجزيرة)، حيث تقول: **"الرسالة السابعة عشرة، حبيبة، يا حبيبة القلب والروح، تحية ملؤها الشوق، وتحية ملؤها الحب، وتحية تحمل إلى نفسك أسمى معاني التقدير والإعجاب.."** (بنت الجزيرة، 1979، ص. 82).

ويلحظ في هذا النص التركيز على معاني الحب، والشوق، والتقدير، والإعجاب، الأمر الذي يدل على مقامٍ عالٍ في الكتابة تصدر منه الكاتبة في كتابتها إلى ذلك المخاطب المهم، ذي المكانة المتميزة، ويمكن أن نسم هذا اللون من المقامات بما كان ينعته (جورج يول) في كتابه (التداولية) بالنمط (المبجل)، وهو تعبير يوسم المخاطَب فيه على أنه أعلى مرتبة من المتكلم (يول، 2010)، وفي هذا المقام تتضح الرؤية التداولية القديمة التي نادى بها ابن قتيبة (276ه) في تقسيم المخاطبين إلى رفيع، ووضيع، عندما فصّل بين من يُكتب له: "فَرَأْيُكَ في كذا، وبين من يكتب إليه فإنْ رأيت كذا" (ابن قتيبة، ت.276هـ، ط. 2003، ص. 24)؛ إذ إن للتبجيل مقامه، ولما هو عكسه، أو أقل منه، مقامه كذلك.

2.3. الرسائل النسائية ذات المقام الموازي

وهي الرسائل النسائية السعودية التي كُتِبت وفقًا لنظامٍ متناظر، ومستوى متوازٍ، كالكتابة بين الأشقاء، أو الأصدقاء، أو الزملاء، أو ما شابه ذلك مما يوحي بالتبادل البيني، والتقارب الضمني في نسق الكتابة، ومن خلاله

يشعر قارئ الرسالة أن المتخاطِبَين قريبان من بعضهما على صعد مختلفة؛ إذ يكون التوافق بينهما ماثلًا، والتكافؤ حاضرًا من زوايا عديدة: نفسية، واجتماعية، وعلمية، ونحوها.

وتنعطف أكثر الرسائل المتبادلة بين اثنتين نحو رسائل المقام الموازي، وهو مظهر بارز في كثير من المدونات الرسائلية لدى الكاتبات السعوديات، من قبيل (رسائلي في الزمن الذي..) (الخضير، 2006)، و(ألف صباح وصباح) (أبو خالد والخميس، 2014)، و(كُتِبت) (عبيد وسما، 2020)، وغيرها، حيث تتناظر فيها كاتبتان أو أكثر في سياق مقامي متقارب، ومن شواهد ذلك مثلاً هذا النص: **"عزيزتي مريم، أعود إلى رسائلك القديمة، تلك الرسائل التي كتبت ببعض حبر الليل، وقليل من نور الصباح (...) أعود لرسائلك القديمة، اقرأ تداعيات مشاعرك فتملؤني الأسئلة، وأقع في زوبعة اختيار الإجابة المناسبة..."** (الخضير، 2006، ص. 40).

ويلحظ في مثل هذا النص (التصريح بالاسم)، وهو ما يسهم في تشكيل المقام التخاطبي المتوازي، وقد أطلق التداوليون المعاصرون على هذا اللون من التصريح (التصريح الصريح)، ويعنون به تلك الألفاظ الموجهة بشكل مباشر إلى شخص آخر تتجلى فيه القوة الوظيفية داخل الخطاب (يول، 2010، ص. 185).

ومثل ذلك الرسائل المتبادلة بين فوزية أبو خالد، وأميمة الخميس في كتاب (ألف صباح وصباح)، حيث نجد فيه مثلاً ما يدل على التوازي التخاطبي، والمقام المتناظر، فمن ذلك هذا النص: "**تواعدنا أن نتكاتب كل صباح، وها هو نهار آخر يمضي مبتعداً بسرقاته الخاصة من الخلايا. ولم أف بوعدي، فماذا لو تشاركينني مشاغل المخيلة؟ (...) فوزية. نضال ورقة توقيعات. أنت أمسية حوصرت بعبق زهر البرتقال، فلم تملك إلا أن تغرق الحدائق بطيوبها**" (أبو خالد والخميس، 2014، ص. 27 – 29).

ومثل ذلك التناظر ما وجدناه في مدونة (كُتبت) بين رؤى، وسما، ولعلنا نورد نصًّا دالًا على هذه البينية المتقاربة في هذه المدونة الرسائلية الضخمة، فقد جاء في فصلها الأول هذا النص: **"جمعنا تطبيق واتس أب، لإرساء البدايات، وشرح الفكرة بتفاصيلها، رحلة ابتدأت بلون التحدي، تحدٍ مع قلمي الذي أرنو به إلى منطقة جديدة خارج دائرة راحته، لأخوض معه غمار تحديات بمحاكاة نصوص أدبية وشعرية، خواطر، وقصص، وأحداث.."** (عبيد وسما، 2020، ص. 23).

إن ما يلحظ في مثل الرسائل المتبادلة بين شخصيتين متكاتبتين أنهما تصدران عن قانون تخاطبي متقارب, ومستوى تراسلي متواز، وهو ما يجعلنا نصنفها ضمن المقام الموازي، ولا سيما إذا علمنا "أن تداول الخطاب يجري في سياق ثقافي واجتماعي بين المتحدث والمخاطب، وليس لفظاً مجرداً عن محيطه الذي يجري فيه" (جاد الكريم، 2018، ص. 213).

وتعد المقابلة والمواجهة ملمحان مهمان يتبيّن من خلالهما مقام التخاطب الموازي، ففي (صهيل القلم) تطالعنا (هند باغفار) برسالة تحمل معنى التقابل والمواجهة، تقول مثلاً: **"عزيزتي صاحبة الرسالة ذات الأوراق الزرقاء، ربما أنتِ امرأة عاقلة أكثر من اللازم، أو مجنونة أكثر من اللازم، المهم أنك لست امرأة عادية ..."** (باغفار، 1993، ص. 76). ونلاحظ هنا عفوية في التخاطب، تجلّيها عبارة: "ربما أنتِ امرأة عاقلة أكثر من اللازم، أو مجنونة أكثر من اللازم". وهذه إحدى ميزات المقام الموازي.

فتخصيص المخاطب هنا بالتماثل (امرأة)، هو شكل من أشكال التقابل والمواجهة التي تقتضي أن يكون المقام التخاطبي في الرسالة مقاماً موازياً، ووصف المخاطبة بالمرأة غير العادية هو ما يعرف عند التداوليين المعاصرين بـ (الاستعمال الوصفي) (يول، 2010) الذي يحدد الطرف الآخر في مقام التخاطب، كما أن حرص الكاتبة على إقناع تلك المرأة المخاطبة بأنها ليست عادية، فيه شيء من المصارحة التي تدل على توازي المقامات، فالمكاشفة في أمر كهذا لا يمكن أن تخرج إلا من شخص مناظر لغيره في سلوكه، أو طباعه، أو أخلاقه.

وفي تخصيص نوع المخاطب، أو جنسه، أو صفته، أو طبيعة علاقته بالمخاطب، ما يجعل مقام التخاطب الرسائلي أكثر تناظرًا وتقابلًا؛ لهذا نجد الكاتبات السعوديات في بعض رسائلهن يرسمن هذا المقام الموازي من خلال ما يقمن به من تحديد وتخصيص، وقد سمّى التداوليون المعاصرون هذا اللون من التحديد المقامي (قصد التحديد أو التعريف) (يول، 2010)، وقد رأينا هذا مثلًا في مدونات (هند باغفار) الأخرى، ففي كتابها (نافذة على الحائط المهدوم) نجد هذه الرسالة: **"يا رفيقي، حينما يتحدث الصمت، ويصبح للحروف أصوات تنطق بها، عندما تصبح للأشواق ألسن تقنع بها منطق العقل والحكمة، عندها اعذرني لو كسرت عمداً سياج المبدأ والروتين (...) يا صديقي، اليوم فقط وصلتني تحيتك الحالمة (...) عاد ظلك يا رفيقي يشعل في رأسي حريقًا (...) عفوًا يا صديقي ..."** (باغفار، 1978، ص. 42).

كما تؤدي المقارنات والموازنات بين الجنسين أحيانًا إلى صنع مقام متواز، تكون فيه المرأة متحدة مع المرأة، ومتشابهة معها، ومشاركة إياها في الهم، والتفكير، فمن ذلك ما جاء في هذا النص من كتاب (رسائل متعثرة) لزكية العتيبي، حيث تقول: "**تذكّري فقط: أن الرجل الذي لديه الجرأة على أن يغادر حبًّا ليس من نصيبه هو رجل صادق لا يتسلّى بك، وحتى أبرهن لكِ صدّقي، سأخبركِ بما أفنيت عمركِ لسماعه مني: أعترفُ لكِ أن حبي لكِ يأخذني إلى مناطق وعرة...**" (العتيبي، 2015، ص. 14 – 15).

فالكاتبة هنا تصدر عن مقام متناظر، ومستوى من التخاطب مساوٍ، وقد اتخذت من المقارنة بينهما وبين الرجل مجالاً لتكثيف حضور المقام المتقارب فيما بينهما، إذ تتشارك الكاتبة والمخاطبة وتحدان في معرفة هذا اللون من الرجال.

ويكشف معيار الصداقة عن مقامٍ مواز في عرض الرسائل التي تكتبها السعوديات إلى زميلات، أو صديقات؛ ولهذا عثرنا على هذا المقام التخاطبي الرسائلي بشكل مكثف لديهن، فمن ذلك مثلًا هذا النص: **"كانت لي صديقة أنجبتها الأيام خير أخت لي ورفيقة، وجعلها الله لي درعاً أحتمي به من تقلبات الدهر. كانت لي ذاك الدرع الحصين الذي يحميني من طعنات الزمن، وغدر البشر، فتمسح آلام أحزاني، وتطرد القلق عني، وتقدم لي كأس الطمأنينة والأمل، وتزرع الثقة في نفسي وفي الآخرين، كانت في كل فجر يوم جديد تحصد السعادة، وتزرع الابتسامة، وتقطف ثمار الأمل، وتقدمها لي"** (المعتاز، 2007، ص. 32).

وفي هذا النص تقترب الكاتب من الصديقة اقترابًا لصيقًا، حتى لا نكاد نشعر بعلو المقام التخاطبي بينهم، أو دنوه، فهي صديقة، ورفيقة، وكأنها أخت لها، وتؤكد معاني الإيثار، والتضحية هذا التقارب، والتوازي بينهما، وقد أسهم التنويع بين ضميري: المتكلم، والغائب من تقريب المقامات، ولا سيما إذا علمنا أن مرجع ضمير الحضور تداولي يعلم من المقام، وضمير الغائب تداولي كذلك إذا لم يذكر في الكلام، وتعيّن بدلالة الحال (حجر، 2019، ص. 99, 128).

وفي نص آخر نجد (عواطف الغامدي) ضمن مدونتها (عابرة حتى الغد) تؤكد تلك المعاني الإيثارية التي تجعل المقامين أكثر توازيًا وتناظرًا، تقول مثلاً ضمن إحدى رسائلها: **"في ذات اليوم مساءً كتبت لها: صديقتي، أنا أحبك كثيرًا، لا أحتمل أي وجع جديد في حياتي، حتى لو لمجرد التفكير، ابدئي يا صديقتي، واحجزي موعداً، إذا لم تقررِ الذهاب، أقسم أنني أنا التي سأذهب بك إلى المشفى، متفائلة أنه شيء بسيط، هيا أقدمي"** (الغامدي، 2021، ص. 43).

وربما كانت الصداقة – بوصفها أحد مظاهر المقام الموازي في رسائل الكاتبات السعوديات – عكس تلك المعاني المعتمدة على التفدية، وذلك حين تكون منطلقة من البعد، والصد، والإعراض، والتخلي، ففي (رسائل لم تقرأ) تقول (أشواق مهجع) مثلاً في إحدى رسائلها: **"لا شيء يا صديقتي يدعو للبقاء، لا شيء منك بقي كما عهدته، لا شيء يدفعني لأن أتمسك بك، لا شيء منك يستحق أن أخسر نفسي وأكسبك، كونك صديقتي، وصديقتي المقربة جداً، لا يعني أن لك الحق بالذهاب والعودة كما شئت، ففي قانون قلبي الراحلون منه لا يعودون لأرضه أبدًا"** (مهجع، 2019، ص. 45).

وربما يدخل مثل هذا اللون من الرسائل ذات النبرة العتابية ضمن ما سمّاه ليتش (2013) في كتابه (مبادئ التداولية) بـ (التورية الساخرة)، فالسخرية، أو التهكم، أو عدم اللباقة، قد تجعلنا ننتقد الآخرين على نحو مؤدب، وهي في الوقت ذاته تجعلنا مواجهين لهم، ومناظرين، وإن لم يكن ذلك بشكل مباشر، أو واضح.

على أن رسائل هذا المقام قد تتضح أيضًا مع المخاطب الغريب، ذاك الذي تضعه الكاتبة في موضع مقابل، يجعلها تكتب إليه وكأنها تشعر بالحذر، أو الغموض؛ لذلك رأينا بعض الرسائل تصرح بهذا المخاطب الغامض, على نحو ما جاء في كتاب (بلا عنوان) لـ (رهف عبد الله)، حيث تقول: **"إلى ذاك الذي لم يزل غريباً, الشخص الغامض الذي لا يبوح إلى من خاف التعلق, الصحبة, الحياة (...) لك يا صديقي الغريب (...) صديقي الغريب, أعلمُ أن مرور النفس في بعض الأحيان يكون جارحاً (...) إلى من لا يزال غريباً (...) مرحباً مرة أخرى, محادثتك جميلة (...) سأكتب عن وجع فقد الشعور .."** (عبد الله، 2018، ص. 64, 65, 70, 71, 78).

وفي مقابل ذلك، فإن رسائل هذا المقام ربما كانت لمخاطب غير غريب، بمعنى أنها تتوجه إلى شخص واضح ومعروف، لكنها تتعامل معه وفق حدود وصفية تحدد مكانته الموازية، كأن تصفه بالرحل المحترم، أو النبيل، أو ما شابه ذلك من الأوصاف، وقد قامت مدونة رسائلية كاملة وفاق هذا النمط المقامي الموازي، كما في المدونة الرسائلية التي عنونتها عهود القرشي بـ (المحكوم عليها بالأمل، رسائلي إلى الرجل النبيل)، وهي أحدث مدونة رسائلية في هذه الدراسة، وقد نهضت كثير من رسائلها على هذا المقام، وقد أنبأ عنوانها عن طابعها المقامي الذي يصنّف جنس المخاطب، وصفته، تقول مثلاً: **"عزيزي الرجل النبيل، أكتب إليك رسالتي هذه، وأنا بين الشك واليقين (...) عزيزي الرجل النبيل، مساء بهي ككل ما نكتب..."**. (القرشي، 2024، ص. 15، 19).

لقد كشف التوازي المقامي في رسائل الكاتبات السعوديات عن قدرتهن على الموائمة مع طبيعة الرسالة، ومقام المخاطب، ولا ريب في أن كثيرًا من رسائل هذا المقام ترد بشكل متفاوت، فليس في التوازي خطوطًا ثابتة، إنما هي درجات تقترب منها الكاتبة، وتبتعد، وقد ترتفع وتدنو، أو تقبل وتنأى، ولكنها على أية حال مستويات متناظرة متقابلة لا نشعر فيها بمسافات بعيدة بين المتكلم والمخاطب.

3.3. الرسائل النسائية ذات المقام الأدنى

نعني بالرسائل النسائية ذات المقام الأدنى تلك الرسائل التي تكتبها المترسلات السعوديات إلى من هم أقل مكانة، أو أدنى منزلة، بمعنى أن تكون الكاتبة أرفع من المكتوب إليه، ويكون المكتوب إليه أصغر قدرًا وأثرًا من الكاتب، وذلك كأن تكتب الأم إلى ابنها، أو ابنتها، أو أن تكتب الأستاذة إلى تلميذتها، أو أن تكتب الكاتبة الرسالة إلى أي شخص آخر، وتكون في مقام أرفع، ويتجلى ذلك في الرسائل التوجيهية، أو التقريعية، أو نحو ذلك مما تكون فيه الكاتبة أكثر معرفةً، أو خبرةً، أو درايةً، أو علمًا، أو ما شابه ذلك.

وقد رصدنا في كثير من رسائل الكاتبات السعوديات التي ينطلقن من مقام أدنى، ما يجعل من هذا المقام شكلاً تخاطبيًا بيّنًا في قانون الرسائل النسائية، وقد لوحظ أن الأثر التوجيهي المرتبط بالنصح، والأوامر، والنواهي،

هو أكثر ما تسير عليه رسائل هذا اللون، ففي (رسائل القدر) مثلاً لـ (انتصار المجاهد) نجد هذه الرسالة: **"لا تعتقد بأنه لا يزال معك متسعٌ من الوقت لكي تنتظر أحلامك التي لطالما رغبت بأن تتنفس رائحتها، وأيضاً لا تعتقد لأن هنالك وقتاً أكثر كي تحقق نجاحاتك التي تحلم بها"** (المجاهد، 2018، ص. 36).

وفي نص آخر بعنوان (تستطيع) تقول ملمحةً إلى معنى التوجيه الذي يشكّل مقام الخطاب الأدنى منذ البداية: "**عندما أوجّه إليك هذه الكلمة ماذا تشعر اتجاهها؟ إذا لم يكن لديك اتجاهها أي شعور، فقد وصلتني إجابتك، وإن كنت تشعر بشعور سلبي فإجابتك قد وصلت أيضاً (...) فحديثي موجّه إليك بشكل مباشر، وحان دوري كي أجيب عليك أنا الآن، وأقول لك بأن شخص لديك كل القوة والدعم الذاتي، لكنك تحتاج إلى دعم خارجي يزيد من حماسك ورغبتك.."** (المجاهد، 2018، ص. 38).

وتقول أيضاً في نص آخر بعنوان (السلام) ضمنته جملة من التوجيهات ذات الجهة الخطابية الأدنى، تقول في آخره: **"حاول دائمًا أن تُحافظ على نفسك بسلام، وقرر من الآن أن تعيش الحياة بسلام أكثر، وإن لم تقرر سوف يتوقف كل شيء إلى أن تقرر، أو إلى أن تموت"** (المجاهد، 2018، ص. 49 - 49).

ولعلنا نتأمل في الخطاطة التالية كيفية تمظهر المقام الأدنى في خطاب الرسائل الثلاث السابقة، وذلك من خلال بعض الصيغ الدالة على المقامية، ومبادئ الأمر، والنهي، والحث، والحض التي تكتنفها:

الكاتبة

↓

لا تعتقد – عندما أوجّه إليك – لديك كل القوة – لكنك تحتاج إلى دعم – حاول دائماً – قرّرْ

↓

الرسالة تتوجه في خطابها إلى مقام أدنى من خلال الصيغ التوجيهية

وتعد رسائل الأمهات إلى أبنائهن مظهراً واضحاً من مظاهر المقام الرسائلي الأدنى، وذلك حين تأخذ الأم في رسائلها منحى العطف والحنو، تقول نائلة القاضي في (الرسائل الراحلة): "**ثم وضع يده في يدي قائلاً وهو يبكي: أمي، أعتقد أننا يجب أن نكون متفائلين، وأومأتُ له برأسي صامتةً، ثم أدار وجهه نحو الاتجاه الآخر،**

يُردّد: عندما لا يكون أبي في المنزل، يبكي الحائط بشوقٍ معي، تحضن أمي بحدائق حبها جرحي، وجميع الندوب على جدار غرفتي، ابتسمتُ وحضنته، وهمستُ في أذنه: وكأنكَ يا بُنَي لا تعلم أن خاصرة السنين قد قُيِّدت، وأنها نبعٌ فاض منها سَلْوَانًا وذِكرَانا، وكأنك يا بُني لا تعلم أن بعض البدايات مليئة بالأرق، قد حاكَت أفئدة البشر، وألسنة القلم، وكأنك يا بُني لا تعلم أن حطّ الرّحال في واحةٍ مزهرة، وصورَ العابرين مغمورةٌ في سراب الظهيرة، وكأنك يا بُني لا تعلم أن صوت المغادرين تجاوز محطات السفر، وحَمْل الحقائب، ونداء الرحلات، وإقلاع الطائرات، وآثار الفرح، والغضب، والعقاب" (القاضي، 2020، ص. 79).

ففي هذا النص الرسائلي تتجلى المقامات التخاطبية بشكل أكثر وضوحًا بين الأم وابنها، الأم بمكانتها، وخبرتها، وعمرها، والابن في بره، واحترامه، واستجابته، ومن خلال هذا المقام تبدو العواطف مشتعلة بين الأم وابنها، فالأم التي تكتب إلى من هو دونها – وهو ابنها – إنما تصدر عن عاطفة حانية، مشفقة، تسلّي الابن، وتحاول أن تطمئنه، وتزرع في قلبه ورود الأمل، وأزهار البشرى والفرح.

وربما نصّت الأم على هذا المقام التخاطبي، وأكدت على غاية الرسالة، وهي الأمان والاطمئنان؛ لهذا نراها في الرسالة ذاتها تقول: **"وكأنك يا بُني لا تعلم أن أفئدة الأمهات من حرير، من زجاج المرايا، من أحجار كريمة، تَحيك (تحوك) الحنان في مدار الطفولة والنضوج حتى المشيب، تعكس الصور المختبئة على جبين الحقيقة، تجذب الحظ كلؤلؤة مسروقة، وكأنك يا بُني لا تعلم ... إلى أن اطمأنَّ ونام"** (القاضي، 2020، ص. 80).

وتسير رسائل هذا المقام على نمط من النصح، والتوجيه، والدعاء، تقول بدرية المعتاز في مدونتها (قوافل): "**ها قد كتبت لكَ اليوم بضع تجاربنا، فضع ما قلته لك في وعاء عقلك، واجعله أمام عينيك، ونفذّ، تسعدنا في قبرنا، وتنعم برضا الله تبارك وتعالى، فافعل ذلك يا بني، والله أدعوه أن تكون ابناً بارّاً، ورجلاً صالحاً في مجتمعه..**" (المعتاز، 2007، ص. 18).

ولأن الأم ميّالة بعاطفتها الأنثوية إلى البنت، فقد شاهدناها أكثر وضوحًا في رسائل هذا المقام؛ لهذا تقول بدرية المعتاز في مدونتها السابقة من رسالة لها بعنوان (رسالة أم لابنتها): "**يا بنتي، أكتب إليك وقلبي يخفق خوفاً عليك، وألما لما أنت فيه، يا ابنتي، بعد أن فتحت الأبواب بإرادتك، وهاجت المشاعر، وأثارت زوابع العواطف، فغرقت في بحر من الحيرة، وأمسيت ليومك ضحية التردد، وفريسة الخوف، أعود مرة أخرى أكتب إليك خوفاً عليك من أن تقعي فريسة سهلة، فتصبحي من النادمين**" (المعتاز، 2007، ص. 8).

ويلحظ كثرة الصيغ الآمرة، والناهية، في هذا اللون من الرسائل، وهو ما يجعل المقام الأدنى أكثر وضوحًا، ويسمي التداوليون المعاصرون مثل هذا اللون من الخطاب: الخطاب (الموجّه)، وهو "فعل كلام يستعمل لجعل شخص آخر يقوم بشيء ما، مثل إصدار الأمر" (يول، 2010، ص. 188).

وتنبع رسائل اللوم، والعتاب، والتوبيخ، من هذا المقام الذي تكون فيه الكاتبة أعلى من المخاطب، وقد رأينا ذلك في نماذج كثيرة من الرسائل، فمن ذلك مثلاً ما جاء في بعض نصوص (حين ينطق الصمت) لـ (بشاير العمار)، حيث تقول: **"عليك أن تدرك أن الحب يتكئ على عكاز الثقة، ما إن يُكسر حتى تسير على الطريق أعرج، عليك أن تدرك أن الحب وطن دستوره الأمان، عليك أن تدرك أن قلب الأنثى حين يَعشقُ يثمل بالحب، حتى يفقد السيطرة على نبضه، عليك أن تدرك بأن المشاعر ليست لعبة، متى ما مللتَ اللعب بها تركتها لتلهو بغيرها، عليك أن تدرك أن الحب أعمى؛ حتى لا تغويك غشاوته"** (العمار، 2018، ص. 25 – 26).

وربما كانت نبرة التوبيخ أشد قسوةً، كما وجدنا عند (عهود عبد الكريم) في مدونتها الرسائلية (رسائل حسب الرغبة)، حيث تقول: **"إليك يا من حدّث وكذب، وعاهد وغدر، ووعد وأخلف، وخاصم وفجر، يصعب عليّ تقبل هذه الفوضى! أنا لا أعلم متى وكيف ولماذا اخترت الفراق حلّاً سهلاً؟ ولا أعلم كيف طاوعك قلبك لطعن قلبي .."** (عبد الكريم، 2022، ص. 81).

وتنم التساؤلات، والاستفسارات، وما يتبعها من استفهامات، عن ملمح من ملامح المقام الموازي في الرسائل النسائية لدى الكاتبات السعوديات، وقد لاح لنا ذلك في غير نص رسائلي، فمن ذلك مثلاً ما ورد في بعض رسائل (عواطف الغامدي) في مدونتها (عابرة حتى الغد)، حيث تقول: **"أرسلت رسالة سريعة في وقت استراحتها، لقلب تطمئن له، كتبت فيها: هل يمكن أن أخبرك بأنني لست قلقة من موعد اليوم، أنا أمر بلحظات خوف من شيء لا أعرفه، برغم أنني أشعر بالاطمئنان بشأن صحتي، وأشعر أن الأمور ستكون بخير"** (الغامدي، 2021، ص. 158).

وفي رسائل أخرى من المدونة نفسها نجد هذا النمط التخاطبي ذي الطبيعة الاستفهامية موضحًا أثر المخاطب الأدنى، تقول مثلًا: **"ورسالة أخرى هزّت هاتفها: لماذا تحضرين مؤتمراً كهذا؟ (...) من صندوق رسائلها: كيف حالك نورا؟ وصباحك جميل، ماذا فعلتي اليوم؟ (...) لا أعلم لماذا أكتم كل هذا البركان في داخلي؟ لا أعلم لماذا لا أصرخ لتخرج كل تلك الحمم؟ لماذا لا أخبرهم بأن هذا المكان يضج بشعور غريب أنه لا يمتلك الدفء بين جنباته، أنه محضن للخوف والقلق.."** (الغامدي، 2021، ص. 136, 174, 180).

والمتأمل في هذه الرسائل المتناثرة، يلمس في أكثرها توجه الرسالة إلى مقام أدنى، فاهتزاز الهاتف في الرسالة الأولى فيه ملمح تحذيري، وجاء الاستفهام التوبيخي دالاً على ذلك، والتوبيخ عادة لا يصدر إلا إلى مخاطب أدنى، كما أن الرسالة الثانية التي في صندوق رسائلها تسأل عن حالها، وصباحها؛ لتستطلع ما فعلت في يومها، وهذا عادة لا يكون إلا من مخاطبين متناظرين، إن لم يكن أحدهما أعلى من الآخر معرفة، أو عمرًا، أو قدرًا، أو مكانة، أو نحو ذلك، كما أن الرسالة الثالثة توحي بمقام ذاتي، حيث يظهر في الرسالة مخاطبان: الأول حقيقي ظاهر، والثاني متخيل متوارٍ، ومع ذلك فالمخاطب الأول الحقيقي أعلى من المخاطب الثاني الذاتي، وهو ما يجعل هذه الرسالة مندرجة ضمن الرسائل ذات المقام الأدنى.

ويمكن أن نرصد في الجدول التالي بعض المبادئ التداولية التي لحظناها في النموذج السابق، مستأنسين ببعض المبادئ التداولية التي أشار إليها ليتش (2013) في كتابه (مبادئ التداولية)، وهي مبادئ توضح المقام الأدنى في الخطاب الرسائلي لدى الكاتبات السعوديات:

نص الرسالة	المبدأ التداولي	الدلالات المقامية للمخاطب الأدنى
ورسالة أخرى هزّت هاتفها: لماذا تحضرين مؤتمراً كهذا؟	مبدأ العتاب والاستغراب	الاستفهام التوبيخي عن الحضور
من صندوق رسائلها: كيف حالك نورا؟ وصباحك جميل، ماذا فعلتي اليوم؟	مبدأ السؤال والاستفسار	السؤال عن الحال، والاستفسار عن العمل
لا أعلم لماذا أكتم كل هذا البركان في داخلي؟	مبدأ الخوف والقلق	الاعتراف بالخوف والقلق

ويبدو المقام الأدنى بشكل أكثر وضوحاً عندما تتكرر في الرسائل الصيغ الآمرة، ففي بعض الرسائل التي دونتها مرام جار الله في كتابها (كُتب في الشتاء) ما يبيّن ذلك، تقول مثلاً من نص لها بعنوان (إليك يا صاحبي): **"إن كنت أسيرًا للاشتياق فاذهب دون تردد، وإن اكتسيت بالحنين فلا تكابر، اذهب، ولتتبعثر مشاعرك أمامه، حتى وإن كان لا يريدك، افعل ما يريح نفسك، افعل هذا؛ حتى لا تشقى، فإن رحل الجميع لا ينفع عتب"** (جار الله، 2021، ص. 51).

وفي نص آخر بعنوان (أسيرة مقيّدة) تتحول الرسالة إلى جملة من الوصايا التي تدخل فيها الصيغ المتراوحة بين الأمر والنهي، تقول مثلاً: **"حارب، وكافح، وجاهد، لا تستسلم أبدًا، لا ترضَ بالأمر الواقع، كن مصرًّا على الحق، غيّر، وتغيَّر ببطء، لا تفكر أن تخطو إلى الأمام حتى تتأكد أن قدميك ثابتتان في الخلف، لا تُصغِ لما يقولون (...) تجاهل، أرح عقلك، قلبك، وحتى لسانك، كن منصتاً جيداً، تعلم الصمت عند الغضب،**

عند الدهشة، عند الحوار العقيم، حافظ على حقوقك لنفسك، إياك أن يُسلب هذا منك أيضاً" (جار الله، 2021، ص. 98).

على أن هذه الصيغ الآمرة أو الناهية ربما كانت على سبيل اللوعة، أو الحزن، أو الأسى، أو التشتت، أو فقد الأمل، أو ضياع الشيء الثمين، وقد لمسنا مثل هذا اللون في بعض نصوص (عطاف سالم) الرسائلية، على نحو ما ورد في مدونتها التي عنونتها بـــ (مئة ورقة من شجرة الحب)، حيث تقول: **"قل لي: من أي نافذة أبوح لك، وكل نوافذك المكسورة ما زالت تُخرخِر بالمطر؟ وأنا أخشى الزجاج، ونبّهتك من قبل: أخاف أن تمطر الدنيا ولست معي"** (سالم، 2022، الغلاف).

إن الرسائل النسائية السعودية ذات المقام الأدنى تنبع غالبًا من صيغ إنشائية طلبية، وهو ما يعني جماليتها البلاغية من جهة، وجماليتها التواصلية من جهة أخرى؛ فالطلب ليس في عمومه طلب وحسب، وإنما يحمل في طياته كثيرًا من المعاني القيمة، والغايات التواصلية التي تسعى إلى تحقيق مقاصد المتكلم، والوصول إلى مستوى معيّن من التأثير في المخاطب.

4.3. الرسائل النسائية ذات المقام المتفاعل

يحدث أن ينطلق المرسل في رسالته من مخاطبة أكثر من متلقٍ، حينئذ يتلون المقام بحسب مقامات المخاطبين داخل نص واحد، وبخاصة حين يغير الموضوع الذي من أجله صيغت الرسالة، كأن يتحول من إطار الثناء والإشادة إلى مجال العتاب والتوبيخ، أو حين يُدخل المرسل في رسالته حوارًا مباشرًا تختلف فيه مقامات المخاطبين، عندئذ قد نجد أنفسنا أمام تفاعلات مقامية إذا جاز الوصف، ولعلي أستشهد هنا بشاهد متخيّل، وذلك كأن يقول أحدهم: "أنتَ الذي كنتُ في يوم من الأيام سندي وعضدي، كنتُ أعاملك كما أعامل أبي، أتودّد إليك، ولا أقسو عليك، وأمنحك صنوف الاحترام، والآن لم تعد لي شيئاً؛ صرتَ من سقط المتاع، بعد أن خذلتني، وخيّبت ظنوني، فصرتُ لا أقوى على احتمالك، بل أصبحت أكرهك، ولا أطيق رؤيتك بعد اليوم". فهنا يتلوّن المقام بين الاحترام والاحتدام، والتقدير والتوبيخ، والثناء واللوم.

وقد رأينا في بعض الرسائل النسائية السعودية التي مرت بنا ازدواجًا في المقامات التخاطبية ينبئ عن تفاعل مقامي تكشف عنه تغيرات المتكلم، وتقلبات المخاطب؛ ومن هنا تكاد تتجلى (المعطيات المقامية) التي أشار إليها التداوليون المعاصرون مجتمعة في رسالة واحدة أحيانًا، وهذا يدل على أن المقام التخاطبي في الرسائل يتسم بالمرونة، والتناغم مع تطلعات المخاطب، وحدود استقباله، هذه المرونة توقف عندها (أ. مولز)، و(ك. زيلتمان)، و(ك. أوريكيوني) عندما ألمحوا إلى أهمية العناصر التي تشكل المقام، وهي العناصر التي توقف عندها (م. بيشو)، على هذا

النحو: من أكون حتى أتكلم معه بهاته الطريق؟ ومن يكون حتى أتكلم معه بهاته الطريقة؟ ومن أكون حتى يتكلم معي بهاته الطريقة؟ ومن يكون حتى يتكلم معي بهاته الطريقة؟ (مولز، 2014، ص. 59).

ولو تأملنا في هذا النص الذي عنونته (إسراء بساطي) على سبيل المثال في مدونتها (البعد اللطيف) لشعرنا بشيء من هذا التناغم المقامي، تقول مثلاً في رسالةٍ لها بعنوان (وهجرتك بسلام): "**تعالَ أخبرك سرًّا نقيًّا، لم أدع عليك يومًا لهذا الخذلان، فخورة بأنني أحببتك بسلام، وهجرتني، وما زلت بنفس السلام. بل اعتنيت بك من بعيد، حصّنتك كثيرًا، ودعوت لك كثيرًا. من الصعب جدًا أن أحبس دموعي عندما تمر على ذاكرتي، يقف القلب لك بكل حب، وأحتضنك كطفل رضيع، لا شعوريًا أضم يديّ النحيلتين إلى صدري، وأردّد في أذنك (كن بخير) لأجلي..**" (بساطي، 2020، ص. 17).

ففي هذا النص تتجلى المقامات الثلاثة في أوضح صورها، إذ نرى في دعوتها (تعال) لإطلاعه على السر النقي (مقامًا أدنى)، فهي تأمر، وتعتب (وهجرتني)، وتعترف بالصبر (ما زلت بنفس السلام)، وفي النص ذاته نلمح (مقامًا موازيًا) تبديه عبارات التذكير بالفضل، والدعاء (اعتنيت بك من بعيد، حصّنتك كثيرًا، ودعوت لك كثيرًا)، كما تبدو آثار المقام العالي ظاهرة في الاحترام والتوقير الذي تكشف عنه عبارة (يقف القلب لك بكل حب)، ثم يعود المقام الموازي للظهور في عبارة (واحتضنك كطفل رضيع)، ثم يلوح المقام الأدنى مجددًا مع الصيغة الآمرة (كن بخير لأجلي).

ويمكن في الجدول التالي رسم التفاعل المقامي في النص السابق؛ لنبين كيفية تناغم المقامات أحياناً في خطابات الرسائل النسائية السعودية:

الصيغة	المقام	ما يدل عليه
تعالَ أخبرك سرّاً نقيّاً	الأدنى	الأمر
وهجرتني، وما زلت بنفس السلام	الأدنى	العتب والصبر
اعتنيت بك من بعيد	الموازي	التذكير بالفضل
حصّنتك كثيراً، ودعوت لك كثيراً	الموازي	الدعاء
يقف القلب لك بكل حب	العالي	الاحترام والتقدير
واحتضنك كطفل رضيع	الموازي	التشبيه
كن بخير لأجلي	الأدنى	الأمر

وقريب من هذا التفاعل المقامي ما جاء في رسالة لـ (هند با غفار) في كتابها (ضائعة في خطوط يديك)، وجاءت الرسالة بعنوان (قصة حب) (باغفار، 1988)، وحوت في تضاعيفها تلوّنًا مقاميًا واضحًا بين احترام الحب وتقديره (عال)، والاعتراف والتقرير (موازٍ)، والعتاب والشكوى (أدنى)؛ ولئلا يطول بنا الحديث رأينا الإشارة إليها، والختم بها.

وكذلك رأينا في مجموعة (كُتِبت) كثيرًا من الرسائل التي تقلّبت بعض مقاماتها التخاطبية بين المقام العالي تارة، والمقام الموازي تارة، والمقام الأدنى تارة أخرى، ولا سيما أنها مليئة بالأبعاد الحكائية، والطابع السردي؛ لذلك رأينا في بعض رسائل المدونة تماوجًا مقاميًا، وامتزاجًا تخاطبيًا، يتنزل فيه المخاطب مرة مكانة عالية، ويتوسط منزلًا موازيًا مرة أخرى، وينزل قليلاً في بعض الأحيان ضمن النص الرسائلي الواحد، ويمكن مشاهدة ذلك مثلاً في الرسالة 153 من سما، والرسالة 164 من رؤى (عبيد وسما، 2020).

وقد نرى في الرسالة استدعاءً لمقامات تخاطبية أخرى، وعندئذ يؤثر هذا التداخل في صنع تناغم مقامي، يتفاعل فيه المخاطبون بتفاعل كاتب الرسالة مع مقاماتهم، ونزوله عند رغباتهم، وعندئذ ندرك أن دراسة استعمال اللغة يتوجه إلى "استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلامًا محدّدًا صادرًا من متكلم محدد، وموجّهًا إلى مخاطب محدّد، بلفظ محدد، في مقام تواصلي محدّد؛ لتحقيق غرض تواصلي محدد" (صحراوي، 2007، ص. 26)، ففي مدونة (مشاعل خالد) التي عنونتها بـ (رسائل إلى ماريا) يلوح أمامنا هذا النص مثلاً: "**ماريّا، قال لي صديقي إن قلبي كبستانٍ من جحيم (...) تقولين إن الأيام تستطيع أن تكون رذاذاً من عطر، وكانت الفراشة الزرقاء هي اليقين، أكون بستاناً عندما تزورني البلابل، عندما تزورني الفراشات (...) أكون بستانًا عندما تمرّين على هيئة الحقيقة والخيال**" (خالد، 2021، ص. 39).

ففي هذا النص تلون مقامي ملحوظ، فالرسالة متوجهة إلى ماريا، ثم يدخل مخاطب آخر بشكل معترض، وهو الصديق، فيتحول المقام التخاطبي من مقام مباشر (موازٍ) إلى مقام موازٍ آخر، غير مباشر، ثم إن التخصيص الصريح بالاسم (ماريا)، وبالصفة (صديقي) يوحي أيضاً بتوازي المقامات، ثم نلمح بعد ذلك مقاماً آخر يزداد صعودًا عندما تختم الرسالة بما يدل على مظاهر التقدير والتوقير (أكون بستانًا عندما تمرّين على هيئة الحقيقة والخيال)، ومن ثم نصبح بين مخاطبين متنوعين، ومقامات متباينة، وهو ما يوحي بأن بعض الرسائل النسائية السعودية قد تميزت بتفاعل المقامات سواء أكانت منفردة مستقلة، أم مجتمعة متضافرة.

4. الخاتمة

سعت الدراسة إلى الاهتمام بأدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية؛ نظرًا إلى قلة البحث فيه، فحاولت أن تعطي تصورًا واضحًا عن هذا الأدب من خلال مقاربته نقديًّا وفقًا للمناهج النقدية الحديثة؛ لهذا اشتمل البحث

على مقدمة توضّح أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ودراساته السابقة، ومنهجه، وتبويبه، ثم تمهيدٍ يعرّف بمفهوم أدب الرسائل وقيمته، ثم أدب الرسائل العربية في العصر الحديث، ثم أدب الرسائل في المملكة العربية السعودية، وموقع الرسائل النسائية منه، ثم اختارت الدراسة (المقامية ومبادئ التواصل في أدب الرسائل النسائية، دراسة تداولية لبعض النماذج السعودية الحديثة والمعاصرة) بوصفها عنوانًا عريضًا تتفرع عنه مطالب أربعة، أولها: الرسائل النسائية ذات المقام العالي، وثانيها: الرسائل النسائية ذات المقام الموازي، وثالثها: الرسائل النسائية ذات المقام الأدنى، ورابعها: الرسائل النسائية ذات المقام المتفاعل.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إيجاز أهمها على النحو الآتي:

أ. وجود ثروة هائلة من النماذج الأدبية التي لم يكشف عنها كثيراً ضمن أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية، وهي نماذج يمكن أن تضاف إلى حصيلة الأدب الرسائلي السعودي بوجه خاص، والأدب الرسائلي العربي بوجه عام.

ب. تنوع المقام الخطابي في الرسائل النسائية السعودية فيه دلالة على تنوع المخاطبين، فالمرأة لم تخاطب المرأة فحسب، بل خاطبت الرجل، والمرأة على حد سواء، كما أنها خاطبت الأب، والأم، والزوج، والزوجة، والأخ، والأخت، والابن، والبنت، والأستاذ، والأستاذة، والصديق، والصديقة، وغيرهم.

ج. تفاوت أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية بين الريادة والمعاصرة، فهناك نماذج رائدة ذات نمط رسائلي متميز، وهي نماذج يصح أن تكون مؤسسة على مستوى أدب الرسائل بوجه عام، وفي مقابل ذلك هناك نماذج معاصرة ذات نمط رسائلي جديد، استكملت ذلك الوهج الرسائلي النسائي، وقد أثر ذلك على تقوية حضور أدب الرسائل، ولا سيما في هذا الوقت الذي تسيطر فيه أجناس أدبية على الحظوة والتألق، في مقابل إقصاء الأجناس الأدبية الأخرى ذات العمق التراثي، والطابع الأصيل.

ولا بد أن نشير في خاتمة هذه الدراسة إلى جملة من التوصيات المهمة حول هذا الموضوع، وهي توصيات لأفكار لم نستطع الوفاء بها في هذا الحيز البحثي الضيق؛ لذلك يمكن إجمالها على هذا النحو:

أ. دراسة أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية دراسة تأريخية تأصيلية تتبع النماذج الرائدة الأولى منذ نشأتها إلى عهدنا هذا.

ويمكن توسيع هذه الدراسة أيضًا بحيث تشمل دراسة أدب الرسائل النسائية في الوطن العربي، وربط ذلك بالتشابه الغربي، إن كانت الدراسة مقارنة، أو الاكتفاء بالدراسة التأصيلية على المستوى العربي، أو السعودي فحسب.

ب. دراسة أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية دراسة نقدية وفقًا للمناهج النقدية التقليدية (الخارجية)، ذات الطابع الكلاسيكي السياقي، كدراستها مثلاً دراسة نفسية، أو اجتماعية.

ج. دراسة أدب الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية دراسة نقدية وفقًا للمناهج النقدية الحديثة الجديدة (الداخلية)، ذات الطابع الحداثي النسقي، كدراستها مثلًا دراسةً إنشائية، أو سردية، أو موضوعاتية، أو ثقافية، أو نحو ذلك.

هذا ونسأل الله أن تكون هذه الدراسة نافعةً لطلابها، ومفيدةً في بابها، وأن تكون إسهامًا متواضعًا يرفد مكتبة الأدب السعودي، ومشاركة يسيرة في خدمة أدب المرأة السعودية المبدعة، ولا سيما تلك الأعمال التي لا تزال بعيدة عن اهتمام الباحثين، والنقاد، كأدب الرسائل، وصلى الله على نبينا محمد.

مراجع البحث

- **المصادر (المدونات الرسائلية النسائية السعودية):**

أبو خالد، فوزية، الخميس، أميمة. (2014). ألف صباح وصباح، مكاشفات شعرية. (ط1). دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

باغفار، هند. (1978). نافذة على الحائط المهدوم. (ط1). مطبوعات نادي الطائف الأدبي. السعودية.

باغفار، هند. (1988). ضائعة في خطوط يديك. (ط1). طبعة خاصة بالمؤلفة، د.م.

باغفار، هند. (1993). صهيل القلم. (ط1). د.ن. د.م.

باغفار، هند. (1999). اعترافات امرأة. (ط1). دار القادسية للنشر والتوزيع. جدة.

بساطي، إسراء. (2020). البعد اللطيف. (ط1). تشكيل للنشر والتوزيع. الرياض.

بنت الجزيرة، سميرة. (1979). مأتم الورود. (ط1). منشورات زهير بعلبكي. بيروت.

جار الله، مرام. (2020).كُتب في الشتاء. (ط1). تفاصيل. الدمام.

خالد، مشاعل. (2020). رسائل إلى ماريا. (ط1). دار إرفاء للنشر والتوزيع. جدة.

الخضير، عبد الله. (2006). رسائلي في الزمن الذي. (ط1). دار المفردات للنشر والتوزيع. الرياض.

سالم، عطاف. (2022). مئة ورقة من شجرة الحب. (ط1). دار النخبة للنشر والتوزيع. القاهرة.

عبد الكريم، عهود. (2022). رسائل حسب الرغبة. (ط1). دار ريادة للنشر والتوزيع. جدة.

عبد الله، رهف. (2018). بلا عنوان. (ط1). تشكيل للنشر والتوزيع. الرياض.

عبيد، رؤى، وسما. (2020). كُتِبت. (ط1). الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت.

العتيبي، زكية. (2015). رسائل متعثرة. (ط1). دار غراب للنشر والتوزيع. القاهرة.

العمار، بشاير عبد اللطيف، (2019). حين ينطق الصمت. (ط1). تشكيل للنشر والتوزيع. الرياض.

الغامدي، عواطف. (2021). عابرة حتى الغد. (ط1). شركة تكوين للنشر والتوزيع. جدة.

القاضي، نائلة. (2020). الرسائل الراحلة، محبكم مشتاق بلا حيلة، أغسطس الحزين. (ط1). مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع. الدمام.

القرشي، عهود عبد الكريم. (2024). المحكوم عليها بالأمل، رسائلي إلى الرجل النبيل. (ط1). الآن ناشرون وموزعون.

عمّان.

المجاهد، انتصار. (2018). رسائل القدر. (ط1). خاص بالمؤلفة مع فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.

المعتاز، بدرية. (2007). قوافل. (ط1). خاص بالمؤلف وفهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.

مهجع، أشواق. (2019). رسائل لم تقرأ. (ط1). مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع. الدمام.

- **المراجع (الكتب والدراسات):**

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (ت.276ه، ط.2003). أدب الكاتب، اعتناء: درويش الجويدي. (ط1). المكتبة العصرية. بيروت.

باديس، نرجس. (2009). المشيرات المقامية في اللغة العربية. (د.ط). مركز النشر الجامعي بمنوبة. تونس.

الباوي، محمد محمود. (د.ت). عمالقة الأدب العربي المعاصر. (د.ط). شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للنشر والتوزيع. بيروت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (ت.255ه، ط.1994). البيان والتبيين. تحقيق: حسن السندوبي. (ط1). دار إحياء العلوم. بيروت.

جاد الكريم، عبد الله. (2018). الفكر التداولي في الحديث النبوي. (ط1). دار النابغة للنشر والتوزيع. مصر.

الحارثي، حمدان بن إبراهيم. (2020). فن الرسائل في الأدب السعودي، قراءة إنشائية تداولية، حمدان إبراهيم الحارثي، تقديم: أ.د. صالح بن الهادي رمضان، وأ.د. عبد الله الحيدري. (ط1). شركة تكوين للنشر والتوزيع. جدة.

حجر، حمادة صبري. (2019). التداولية. (ط1). دار النابغة للنشر والتوزيع. مصر.

حسين، محمد بن سعد. (1997). الأدب الحديث، تاريخ ودراسات، (ط6). دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع. الرياض.

الحنوش، أحمد. (2021). الحجاج في أدب الوفادات عند العرب في العصر الأموي. (ط1). عالم الكتب الحديث. إربد – الأردن.

الزركلي، خير الدين. (2002). الأعلام. (ط15). دار العلم للملايين. بيروت.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (ت.538ه، ط.2004). أساس البلاغة. (د.ط). دار الفكر. بيروت.

زيادة، مي. (2009). كتابات منسية. تحقيق: أنتيا زيغلر. ط1. نوفل. بيروت.

سليماني، مولاي علي. (2012). نحو قراءة تأويلية موسعة للخطاب، مناولات تطالبية تساندية. (ط1). دار النابغة للنشر والتوزيع. مصر.

السمان، غادة. (2019). رسائل الحنين إلى الياسمين. (ط7). منشورات غادة السمان. بيروت.

الشهري، ظافر. (2004). إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية. (ط1). دار الكتاب الجديد. بيروت.

صحراوي، مسعود. (2007). التداولية عند العلماء العرب. (ط1). دار الطليعة. بيروت.

صفوت، أحمد زكي. (1937). جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة. (د.ط). دار المطبوعات العربية. القاهرة.

الصقري، محمد بن سلمان. (2022). سيميائية الرسائل النسائية في المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير. جامعة حائل. كلية الآداب والفنون. قسم اللغة العربية. السعودية.

العتيبي، طنف بن صقر. (2019). السردية في الخطاب الترسلي العربي الحديث. (ط1). ملامح للنشر والتوزيع. الشارقة – الإمارات العربية المتحدة.

العسكري، أبو هلال. (ت.395ه، ط.1984). كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر. (ط2). دار الكتب العلمية. بيروت.

غازي، خالد محمد. (2015). مي زيادة، سيرة حياتها وأدبها وأوراق لم تنشر. (ط1)، وكالة الصحافة العربية. مصر.

الفيروز آبادي. (ت. 817ه، ط.2004). القاموس المحيط. (ط2). دار إحياء التراث العربي. بيروت.

القزويني، الخطيب. (ت.739ه، ط.2002). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي. (ط1). المكتبة العصرية. بيروت.

قميحة، جابر. (1986). أدب الرسائل في صدر الإسلام. (ط1). دار الفكر العربي. القاهرة.

الكاتب، ابن وهب. (ت.335ه، ط.1967). البرهان في وجوه البيان. تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي. (ط1). جامعة بغداد. العراق.

الكزبري، سلمى. بشروئي، سمهيل. (1984). الشعلة الزرقاء، رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة. (ط2). مؤسسة نوفل. بيروت.

كمال الدين، سامي. (2009). رسائل المشاهير. (ط2). مؤسسة شمس للنشر والإعلام. القاهرة.

ليتش، جيوفري. (2013). مبادئ التداولية. ترجمة: عبد القادر قنيني. (د.ط). أفريقيا الشرق. الدار البيضاء.

المقداد، محمود. (1993). تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية. (ط1). دار الفكر. دمشق.

مولز، وآخرون. (2014). في التداولية المعاصرة والتواصل. ترجمة وتعليق: محمد نظيف. (د.ط). أفريقيا الشرق, الدار البيضاء.

النجار، تيسير. (2002). رسائل نازك الملائكة. (ط1). دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. عمّان – الأردن.

ياكبسون، رومان. (1988). قضايا الشعرية. ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون. (ط1). دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.

يعقوب، إميل. (2004). معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة. (ط1). جروس برس. طرابلس – لبنان.

يول، جورج. (2010). التداولية. ط1. دار الأمان، والدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت. الرباط.

Abū Khālid, Fawzīyah, al-Khamīs, Umaymah. (2014). alf Ṣabāḥ wṣbāḥ, Mukāshafāt shi‘rīyah. (Ṭ1). Dār al-Khayyāl lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘. Bayrūt.

Bāghaffār, Hind. (1978). Nāfidhah ‘alá al-ḥā’iṭ al-mahdūm. (Ṭ1). Maṭbū‘āt Nādī al-Ṭā’if al-Adabī. al-Sa‘ūdīyah.

Bāghaffār, Hind. (1988). ḍā’i‘ah fī khuṭūṭ yadayk. (Ṭ1). Ṭab‘ah khāṣṣah bālm’lfh, D. M.

Bāghaffār, Hind. (1993). Ṣahīl al-Qalam. (Ṭ1). D. N, D. M.

Bāghaffār, Hind. (1999). I‘tirāfāt imra’ah. (Ṭ1). Dār al-Qādisīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘. Jiddah.

Bisāṭī, Isrā'. (2020). al-Bu'd al-Laṭīf. (Ṭ1). tashkīl lil-Nashr wa-al-Tawzī', al-Riyāḍ.
Bint al-Jazīrah, Samīrah. (1979). ma'tam al-Wurūd. (Ṭ1). Manshūrāt Zuhayr Ba'labakkī. Bayrūt.
Jār Allāh, Marām. (2020). kutb fī al-shitā'. (Ṭ1). tafāṣīl. al-Dammām.
Khālid, Mashā'il. (2020). Rasā'il ilá Māriyā. (Ṭ1). Dār irfā' lil-Nashr wa-al-Tawzī', Jiddah.
Al-Khuḍayr, 'Abd Allāh. (2006). Rasā'ilī fī al-zaman alladhī. (Ṭ1). Dār al-Mufradāt lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Riyāḍ.
Sālim, 'Aṭṭāf. (2022). mi'at Waraqah min Shajarat al-ḥubb. (Ṭ1). Dār al-nukhbah lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Qāhirah.
Abd al-Karīm, 'uhūd. (2022). Rasā'il Ḥasab al-raghbah. (Ṭ1). Dār riyādah lil-Nashr wa-al-Tawzī', Jiddah.
Abd Allāh, Rahaf. (2018). bi-lā 'unwān, (Ṭ1). tashkīl lil-Nashr wa-al-Tawzī', al-Riyāḍ.
Ubayd, Ru'á, Samā. (2020). kutibt. (Ṭ1). al-Dār al-'Arabīyah lil-'Ulūm Nāshirūn. Bayrūt.
Al-'Utaybī, Zakīyah. (2015). Rasā'il muta'aththirah. (Ṭ1). Dār Ghurāb lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Qāhirah.
Al-'Ammār, Bashāyir 'Abd al-Laṭīf, (2019). Ḥīna yanṭiqu al-ṣamt. (Ṭ1). tashkīl lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Riyāḍ.
Al-Ghāmidī, 'Awāṭif. (2021). 'ābirah ḥattá al-Ghad. (Ṭ1). Sharikat takwīn lil-Nashr wa-al-Tawzī', Jiddah.
Al-Qāḍī, Nā'ilah. (2020). al-rasā'il al-rāḥilah, mḥbkm Mushtāq bi-lā Ḥīlah, Aghusṭus al-ḥazīn. (Ṭ1). Markaz al-adab al-'Arabī lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Dammām.
Al-Qurashī, 'uhūd 'Abd al-Karīm. (2024). al-maḥkūm 'alayhā bi-al-amal, Rasā'ilī ilá al-rajul al-nabīl. (Ṭ1). al-ān Nāshirūn wa-Muwazzi'ūn. 'Ammān.
Al-Mujāhid, Intiṣār. (2018). Rasā'il al-qadar. (Ṭ1). khāṣṣ bālm'lfh ma'a Fahrasat Maktabat almk Fahd al-Waṭanīyah, al-Riyāḍ.
Al-Mu'tāz, Badrīyah. (2007). Qawāfil. (Ṭ1). khāṣṣ bi-al-mu'allif wa-fahrasat Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭanīyah. al-Riyāḍ.
Muhajji', Ashwāq. (2019). Rasā'il lam taqra'. (Ṭ1). Markaz al-adab al-'Arabī lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Dammām.
Al-Marāji' (al-Kutub wa-al-Dirāsāt): Ibn Qutaybah, Abū Muḥammad 'Abd Allāh ibn Muslim. (t. 276, Ṭ. 2003). adab al-Kātib, i'tinā' : Darwīsh aljwydy. (Ṭ1). al-Maktabah al-'Aṣrīyah. Bayrūt.
Bādīs, Narjis. (2009). al-Mushīrāt al-maqāmīyah fī al-lughah al-'Arabīyah. (D. Ṭ). Markaz al-Nashr al-Jāmi'ī bi-Manūbah. Tūnis.
Al-Bāwī, Muḥammad Maḥmūd. (D. t). 'Amāliqat al-adab al-'Arabī al-mu'āṣir. (D. Ṭ). Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam lil-Nashr wa-al-Tawzī'. Bayrūt.
Al-Jāḥiẓ, Abū 'Uthmān 'Amr ibn Baḥr. (t. 255, Ṭ. 1994). al-Bayān wa-al-tabyīn. taḥqīq : Ḥasan al-Sandūbī. (Ṭ1). Dār Iḥyā' al-'Ulūm. Bayrūt.
Jād al-Karīm, 'Abd Allāh. (2018). al-Fikr altdāwly fī al-ḥadīth al-Nabawī. (Ṭ1). Dār al-Nābighah lil-Nashr wa-al-Tawzī', Miṣr.

Al-Ḥārithī, Ḥamdān ibn Ibrāhīm. (2020). Fann al-rasā'il fī al-adab al-Sa'ūdī, qirā'ah inshā'īyah tadāwulīyah, Ḥamdān Ibrāhīm al-Ḥārithī, taqdīm : U. D. Ṣāliḥ ibn al-Hādī Ramaḍān, wa-A. D. 'Abd Allāh al-Ḥaydarī. (Ṭ1). Sharikat takwīn lil-Nashr wa-al-Tawzī'. Jiddah.

Ḥajar, Ḥamādah Ṣabrī. (2019). al-Tadāwulīyah. (Ṭ1). Dār al-Nābighah lil-Nashr wa-al-Tawzī'. Miṣr.

Ḥusayn, Muḥammad ibn Sa'd. (1997). al-adab al-ḥadīth, Tārīkh wa-dirāsāt, (ṭ6). Dār 'Abd al-'Azīz Āl Ḥusayn lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Riyāḍ.

Alḥnwsh, Aḥmad. (2021). al-Ḥajjāj fī adab al-Wifādāt 'inda al-'Arab fī al-'aṣr al-Umawī. (Ṭ1). 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth. Irbid – al-Urdun.

Al-Ziriklī, Khayr al-Dīn. (2002). al-A'lām. (ṭ15). Dār al-'Ilm lil-Malāyīn. Bayrūt.

Al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn 'Umar. (t. 385h, Ṭ. 2004). Asās al-balāghah. (D. Ṭ). Dār al-Fikr. Bayrūt.

Ziyādah, Mayy. (2009). Kitābāt mansīyah. taḥqīq : Antyā Zīghlir. Ṭ1. Nawfal, Bayrūt.

Sulaymānī, Mawlāy 'Alī. (2012). Naḥwa qirā'ah ta'wīlīyah muwassa'ah lil-khiṭāb, mnāwlāt ṭṭālbyh tsāndyh. (Ṭ1). Dār al-Nābighah lil-Nashr wa-al-Tawzī'. Miṣr.

Al-Sammān, Ghādah. (2019). Rasā'il al-ḥanīn ilá al-Yāsamīn. (ṭ7). Manshūrāt Ghādah al-Sammān. Bayrūt.

Al-Shahrī, Ẓāfir. (2004). Istirātījīyāt al-khiṭāb, muqārabah lughawīyah tadāwulīyah. (Ṭ1). Dār al-Kitāb al-jadīd. Bayrūt.

Ṣaḥrāwī, Mas'ūd. (2007). al-Tadāwulīyah 'inda al-'ulamā' al-'Arab. (Ṭ1). Dār al-Ṭalī'ah. Bayrūt.

Ṣafwat, Aḥmad Zakī. (1937). Jamharat Rasā'il al-'Arab fī 'uṣūr al-'Arabīyah al-Zāhirah. (D. Ṭ). Dār al-Maṭbū'āt al-'Arabīyah. al-Qāhirah.

Al-Ṣaqrī, Muḥammad ibn Salmān. (2022). sīmiyā'īyah al-rasā'il al-nisā'īyah fī al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah. Risālat mājistīr. Jāmi'at Ḥā'il. Kullīyat al-Ādāb wa-al-Funūn. Qism al-lughah al-'Arabīyah. al-Sa'ūdīyah.

Al-'Utaybī, ṭnf ibn Ṣaqr. (2019). al-sardīyah fī al-khiṭāb altrsly al-'Arabī al-ḥadīth. (Ṭ1). Malāmiḥ lil-Nashr wa-al-Tawzī'. al-Shāriqah – al-Imārāt al-'Arabīyah al-Muttaḥidah.

Al-'Askarī, Abū Hilāl. (t. 395h, Ṭ. 1984). Kitāb al-ṣinā'atayn, al-kitābah wa-al-shi'r. (ṭ2). Dār al-Kutub al-'Ilmīyah. Bayrūt.

Ghāzī, Khālid Muḥammad. (2015). Mayy Ziyādah, sīrat ḥayātuhā wa-adabuhā wa-awrāq lam tunsharu. (Ṭ1). Wakālat al-Ṣiḥāfah al-'Arabīyah. Miṣr.

Al-Fayrūz Ābādī. (t. 817h, Ṭ. 2004). al-Qāmūs al-muḥīṭ. (ṭ2). Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī. Bayrūt.

al-Qazwīnī, al-Khaṭīb. (t. 739h, Ṭ. 2002). al-Īḍāḥ fī 'ulūm al-balāghah. taḥqīq : Muḥammad 'Abd al-Qādir al-Fāḍilī. (Ṭ1). al-Maktabah al-'Aṣrīyah. Bayrūt.

Qumayḥah, Jābir. (1986). adab al-rasā'il fī Ṣadr al-Islām. (Ṭ1). Dār al-Fikr al-'Arabī. al-Qāhirah.

Al-Kātib, Ibn Wahb. (t. 335h, Ṭ. 1967). al-burhān fī Wujūh al-Bayān. taḥqīq : Aḥmad Maṭlūb wkhdyjh al-Ḥadīthī. (Ṭ1). Jāmi'at Baghdād. al-'Irāq.

Al-Kuzbarī, Salmá. Bushrui, smhyl. (1984). al-Shu'lah al-Zarqā', Rasā'il Jubrān Khalīl Jubrān ilá Mayy Ziyādah. (ṭ2). Mu'assasat Nawfal. Bayrūt.

Kamāl al-Dīn, Sāmī. (2009). Rasā'il al-mashāhīr. (ṭ2). Mu'assasat Shams lil-Nashr wa-al-I'lām. al-Qāhirah.

Lytsh, jywfry. (2013). Mabādi' al-Tadāwulīyah. tarjamat : 'Abd al-Qādir qnyny. (D. Ṭ). Afrīqiyā al-Sharq. al-Dār al-Bayḍā'.

Al-Miqdād, Maḥmūd. (1993). Tārīkh al-tarassul al-nathrī 'inda al-'Arab fī al-Jāhilīyah. (Ṭ1). Dār al-Fikr. Dimashq.

Mwlz, wa-ākharūn. (2014). fī al-Tadāwulīyah al-mu'āṣirah wa-al-Tawāṣul. tarjamat wa-ta'līq : Muḥammad Naẓīf. (D. Ṭ). Afrīqiyā al-Sharq, al-Dār al-Bayḍā'.

Al-Najjār, Taysīr. (2002). Rasā'il Nāzik al-Malā'ikah. (Ṭ1). Dār Majdalāwī lil-Nashr wa-al-Tawzī'. 'Ammān – al-Urdun.

Yākbswn, Rūmān. (1988). Qaḍāyā al-shi'rīyah. tarjamat : Muḥammad al-Walī, wa-Mubārak Ḥannūn. (Ṭ1). Dār Tūbqāl lil-Nashr. al-Dār al-Bayḍā'.

Ya'qūb, Imīl. (2004). Mu'jam al-shu'arā' mundhu bad' 'aṣr al-Nahḍah. (Ṭ1). Jarrūs Bris. Ṭarābulus – Lubnān.

Ywl, Jūrj. (2010). al-Tadāwulīyah. Ṭ1. Dār al-Amān, wa-al-dār al-'Arabīyah lil-'Ulūm Nāshirūn. Bayrūt. al-Rabāṭ.

Biographical Statement

Dr. Fahd Ibrahim Saad Al-Bakr is an Associate Professor of Literature and Criticism in the Arabic Language Department at the College of Arts in Hail. He obtained a doctorate degree in literature and received an excellent grade with first place from Imam Muhammad bin Saud Islamic University in Riyadh. His scientific interests are research in epistolary literature, epistolary novel, ancient & modern Narrative and Contemporary Literary and Critical Theories.

معلومات عن الباحث

د. فهد إبراهيم سعد البكر. أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية في كلية الآداب والفنون بجامعة حائل، حاصل على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، اهتماماته البحثية في: أدب الرسائل، والرواية الرسائلية، والسرد القديم، والسرد الحديث، والنظريات الأدبية والنقدية المعاصرة.

Email: falbakr9@gmail.com